هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1)

العدد 184

محرم / صفر 1448هـ تموز / آب 2026م

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحـــرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج

يوسف تيسير محمود

هيئة التحـــرير

أ. د. جمال أحمد زيد الكيلاني

أ. د. حسن عبد الرحمن السلوادي

د. صبحي محمد عبيد

د. محمد خليل جاد الله

المراسلات: مجلة الإسراء

الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 - القدس / ص.ب : 1862 رام الله - تلفاكس : 6262495 ـ 02 / 2348603 ـ 02

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.ps للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.ps

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

القدس عاصمة فلسطين الأبدية

فهرس العدد

افتتاحية العدد

تحريم الهجرة الدائمة من فلسطين ثابت شرعي ووطني — الشيخ محمد أحمد حسين — 4

كلمة العدد

هل من حاجة لمراجعة مسار فتاوى الإجهاض؟ — الشيخ إبراهيم خليل عوض الله — 14

مناسبة العدد

من ظلمات الغار إلى نور الحضارة: رحـــــلة الإيـمـان وبنـــاء الأمة — د. محمد خليل جاد الله — 22
أهم الأحداث التاريخية في شهري محرم وصفر — أ. شريف مفارجة — 28

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب — الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديـــــار الفلـسـطينية — 35

فهرس العدد

من هنا وهناك

الظن بين المحظور والمأمور	الشيخ د. أحمد شوباش	43
مسؤولية الكلمة في ضوء الشريعة الإسلامية	أ. د. جمال أحمد زيد الكيلاني	51
الرصيد الإيماني ... حين ينفعك ما قدّمت	أ. مهدي سليم	58

مواعظ وعبر

ليتني - سراب الأمنيات السبع	أ. روان الشيخ	70
من مفاتيح الرزق	أ. كمال بواطنة	79
المخدرات شر قاتل	أ. يوسف عدوي	86

أعلام من بلدي

أ. مخلص محجوب "الحاج حسين" السعيد	أ. إبراهيم رمضان	94

أدبيات

اقرأ وتذكر	أ. إيمان تايه	100

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	103
مسابقة العدد 184	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 182	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

تحريم الهجرة الدائمة من فلسطين ثابت شرعي ووطني

الشيخ محمد حسين/ المشرف العام

الحديث عن الهجرة من فلسطين قديم حديث، يُطرق بين الحين والآخر لأسباب مختلفة، وفي ظروف مختلفة أيضاً، وقد طُرق في الآونة الأخيرة بصوت مرتفع، ولغاية واضحة، خاصة في أواخر أيام الحرب على غزة، حيث كانت هناك مطالبة بتهجير أهل غزة إلى الخارج، ودعوة صريحة لذلك من قادة سياسيين ممن يملكون قوة الضغط والتأثير على أرض الواقع، بحجة ظاهرها خير، وباطنها العذاب، فطالبوا بتهجير أهل غزة منها ليعيشوا حياة فيها أمان ورخاء أكثر مما يجدونه في وطنهم، وفي المقابل يتحقق إفراغ غزة من أهلها،وإقامة عمران مكان الدمار الذي حل فيها، طبعاً يراد هذا لصالح المحتل ومساندیه، وطرحت أماكن لهجرة أهل غزة منها دول عربية محيطة بها، وغيرها من دول العالم، وقد رُفضت هذه الدعوة بحزم منقطع النظير من قادة كثير من الدول وشعوبها، وتم العمل على إجهاض هذه الفكرة وإبطال مفعولها، فهدأت إلى حد ما الدعوة العلنية العامة للهجرة، لكنها بقيت تطرح بين الحين والآخر، وازدادت الضغوط والإغراءات لتحقيقها، ولم تقف مخططات تهجير الفلسطينيين عند الذين يقطنون غزة فحسب، بل ما زال العمل الدؤوب لتحقيقها جارياً في الضفة الغربية والقدس إضافة إلى غزة، وقد طفت على السطح مؤخراً قضية فرض الهجرة

الدائمة عن فلسطين كشرط للموافقة على التحاق امرأة وأبنائها براعي الأسرة المبعد قسرياً عن بلده وأهله؛ كونه كان يقبع في سجون الاحتلال وتم إبعاده بأوامر عسكرية، وهذا الحدث يُطرح كمثال ونموذج واضح ودال على عمق العمل وسعته الذي يجري على قدم وساق للتهجير بوسائل متنوعة، تجمع بين الإغراء والإغواء والضغوط، وقد مُنعت المرأة وأبناؤها من الالتحاق بالزوج والأب المبعد إلا بتعهدهم بأن يكون سفرهم إليه هجرة دائمة، يمنعون بموجبها من العودة إلى ديارهم وبلدهم ووطنهم.

وتقدمت هذه المرأة إلى دار الإفتاء الفلسطينية بطلب فتوى بالخصوص، بعد أن أُغلقت أمامها وأطفالها السبل والوسائل القانونية والحقوقية، كما ذكرت في تصريحات صدرت عنها إلى بعض وسائل الإعلام، ومنها جريدة القدس.

وأحدث هذا الموضوع ضجة وإثارة عبر وسائل التواصل الاجتماعي وبين الناس، وبعضهم انتقد الفتوى دون إمعان النظر في مخاطر مخالفتها والقول بضدها، وتتلخص تلك المخاطر في فتح باب يتمنى أعداء شعبنا فتحه على أوسع نطاق، واستعدوا لبذل أموال طائلة للتهجير، وتسهيل شأنه، وتوفير أماكن إقامة للمهجرين، وإعطاء تصاريح إقامة لهم في البلدان التي سيهاجرون إليها،وإلى جانب هذا فقد أعربوا عن عزمهم على فرض الهجرة على من لا يستجيب إليها طواعية.

عقيلة أسير مبعد ترفض الانصياع لفرض تهجيرها قسرياً مقابل الالتحاق به

نشرت جريدة القدس تقريراً صحفياً وضع حداً للنقاش الذي دار عبر وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها حول مسألة الحكم الشرعي في الرضوخ لقرار سلطات

الاحتلال بفرض الهجرة الدائمة عن وطنها لتلحق بزوجها الأسير المبعد قسرياً إلى خارجه، وجاء هذا التقرير تحت عنوان: **رفضاً لابتزاز الاحتلال.. زوجة الأسير المبعد ماهر الهشلمون تقرر البقاء في فلسطين بفتوى شرعية**، ورفضها عرضاً من سلطات الاحتلال الإسرائيلي يسمح لها بالسفر للقاء زوجها شريطة عدم العودة نهائياً إلى فلسطين.

وصدرت لهذه المواطنة فتوى رسمية أشرنا إليها آنفاً، والتي أشرنا إليها في التقرير الصحفي المشار إليه آنفاً، وذلك بناء على سؤال شخصي منها، ونصه:

ما حكم هجرة عائلات إلى الخارج من أجل الاجتماع بذويهم من الأسرى المبعدين، في ظل رفض الاحتلال سفرهم، وتقييد السماح بذلك بالذهاب دون عودة، ولا يخفى أن الأسرى وذويهم يعانون مشقة بسبب بعدهم عن بعض؟

وصدرت تلك الفتوى للسائلة في 30 /4 /2026، ونصت على أن السفر المؤقت من فلسطين إلى بلاد أخرى لطلب العلم أو العمل أو غيره، جائز، شريطة العزم على العودة والإقامة في هذه الأرض المباركة، بعد انتهاء أمد المهمة التي يتم السفر لأجلها، أما الهجرة من هذه الديار المباركة بنية الإقامة الدائمة فلا تنبغي، وعلى أبناء هذه الديار الرباط فيها، وألا يتركوها للغزاة والمحتلين، وحسبهم شرفاً أن يكونوا سدنة مسجدها الأقصى المبارك، أولى القبلتين، وثاني المسجدين، ومن المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها.

مستندات تحريم الهجرة الدائمة عن فلسطين

فتوى تحريم الهجرة الدائمة من فلسطين باعتبارها ثابتاً شرعياً ووطنياً، تستند إلى أدلة دامغة من الشرع الحنيف، وتدبر حاذق بمآلات الأمور وعواقب الأفعال، من منظار شرعي واضح، فالهجرة لما فرضها الله على الرسول، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، رضي الله عنهم، كانت عملاً بأمر الله وفرضه، ونزلت بالخصوص آيات محكمات، فرضت الهجرة واشترطت القيام بها للقبول عند الله ونيل رضاه، سبحانه، واشترط لقبول الهجرة والإثابة عليها، أن يكون الباعث إليها طاعة الله، وابتغاء مرضاته، سبحانه، ففي الحديث المشهور الصحيح عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).[1]

ولما تطورت ظروف المسلمين بعد فتح مكة المكرمة، وتغيرت الموازين والمعايير تبعاً لذلك، تغيرت بعض الأحكام بأدلة جديدة، ومن ضمن ذلك توقف مسار الهجرة، ونسخ حكم فرضها كما ثبت في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ: "لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا".[2]

وفي صحيح البخاري بَابٌ لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وفيه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: (لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ

1. صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟
2. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير.

وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا)[1]، وفيه، عَنْ مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: جَاءَ مُجَاشِعٌ بِأَخِيهِ مُجَالِدِ بْنِ مَسْعُودٍ، إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَذَا مُجَالِدٌ يُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ، فَقَالَ: (لَا هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَكِنْ أُبَايِعُهُ عَلَى الإِسْلَامِ)[2]

وفيه، عن عَطَاءً: ذَهَبْتُ مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ إِلَى عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ بِثَبِيرٍ، فَقَالَتْ لَنَا: (انْقَطَعَتِ الهِجْرَةُ مُنْذُ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ)[3]

وحول حكم الهجرة من أرض فلسطين، صدرت فتوى بتاريخ 14/11/2017م، تحمل الرقم 169 في سلسلة الفتاوى المحفوظة في أرشيف الفتاوى المنشورة على صفحة دار الإفتاء الفلسطينية، ونصت على ما يأتي:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد كثر الحديث في بلادنا فلسطين عن الهجرة، بخاصة بين صفوف الشباب، وذلك بسبب الأوضاع الأمنية والاقتصادية المتردية طلباً للرزق في بلاد أخرى. حيث التسابق على أبواب سفارات الدول الغربية وممثلاتها، طلباً للحصول على تأشيرة السفر والهجرة إلى تلك الدول بنية الإقامة الدائمة، وقد حرص الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم، والسلف الصالح من العلماء والأولياء والمجاهدين والمحررين، على الرباط في هذه الديار باعتبارها من أهم ثغور الإسلام والمسلمين.

وبناء على ما تقدم فإن الهجرة من هذه الديار المباركة إلى بلاد أخرى، بنية الإقامة الدائمة لا تجوز شرعاً.

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح.
1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح.
2. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح.

درء المفاسد أولى من جلب المصالح:

الصعاب والمشاق ليس لها حدود، والضرورة التي يباح بسببها ارتكاب المحظور، لها ضوابط يجب أخذها بعين الاعتبار قبل التسرع باستباحة المحرمات، وبفتوى تحريم الهجرة الدائمة من فلسطين، يغلق باب شر كبير، ويمنع خطر رهيب من الانسياب إلى أرض فلسطين وأهلها، والقاعدة الفقهية تنص على:"أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح"، ومن الأدلة الشرعية المساندة لهذه القاعدة الفقهية، حديث عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال : (لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ - أَوْ قَالَ: بِكُفْرٍ - لَأَنْفَقْتُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَجَعَلْتُ بَابَهَا بِالْأَرْضِ، وَلَأَدْخَلْتُ فِيهَا مِنَ الْحِجْرِ).[1]

جاء في أصول الفقه على منهج أهل الحديث، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، ترك ما فيه مصلحة حتى لا تحصل مفسدة بسبب تلك المصلحة، قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: "وإذا تأملت شرائع دينه التي وضعها بين عباده وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصلحة الخالصة أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزاحمت قدم أهمها وأجلها، وإن فاتت أدناها، وتعطيل المفاسد الخالصة أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزاحمت عطل أعظمها فساداً باحتمال أدناهما، وعلى هذا وضع أحكم الحاكمين شرائع دينه، وهي دالة عليه، شاهدة له بكمال علمه وحكمته، ولطفه بعباده، وإحسانه إليهم".[2]

1. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها.
2. أصول الفقه على منهج أهل الحديث، ص136.

وعند تطبيق هذه القاعدة الفقهية على مسألة الهجرة الدائمة الطوعية من فلسطين، يظهر أن الأخذ بالتحريم مقدم على الإباحة، كون حجم الضرر الناتج عنها أكبر، فضرر الهجرة الدائمة يؤدي إلى إفراغ فلسطين من أهلها الشرعيين، أو يقلل عددهم فيها، مما يتيح المجال واسعاً ليحل المحتلون مكانهم فيها، وتلك غاية يفقهها المحتلون وأعوانهم جيداً، ويخططون لتنفيذها على أرض الواقع بالترغيب والترهيب، ويلجأون إلى شتى السبل والوسائل في هذا الإطار، ليس انطلاقاً من لهو أو تجارب عشوائية، وإنما يستندون إلى مخططات مدروسة، ويعملون على تجنيد الطاقات والقوى الضاغطة لتنفيذ هذه المخططات المسمومة.

ومن يصعب عليه تقبل هذا المستند فليسأل نفسه عن المستفيد من إباحة الهجرة الدائمة من فلسطين، وليستعن في التقييم بما يعلن عن المخططات التي يفصح عنها لتحقيق هذه الغاية العدوانية، وهو ليس بحاجة ليبذل أي جهود مضنية للبحث عن المكنون والمخفي من تلك المخططات، كون الحديث عنها صار جهاراً نهاراً، وعلى المكشوف، وبصراحة تبلغ درجة الوقاحة والبجاحة.

تقديم المصلحة العامة عند تعارضها مع الخاصة:

الحكم الفقهي العام يقضي بتقديم المصلحة العامة على الخاصة عند تعارضهما، وتعذر الجمع والتوفيق بينهما، ذكر الزركشي عند حديثه عن قاعدة تعارض المفسدتين، قول ابن عبد السلام: أجمعوا على دفع العظمى في ارتكاب الدنيا. وقال ابن دقيق العيد: "من القواعد الكلية أن تدرأ أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما إذا تعين وقوع إحداهما، بدليل حديث بول الأعرابي في المسجد، لما نهاهم النبي، صلى الله عليه

وسلم، عن زجره"،[1] وأن يحصل أعظم المصلحتين بترك أخفهما إذا تعين عدم إحداهما.

وقال الشيخ عز الدين: "إذا تعارضت مصلحتان حصلت العليا منهما بتفويت الدنيا.[2]

ويشهد لتقديم المصلحة العامة للأمة على الخاصة أدلة عديدة، منها أن النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد صلح الحديبية رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، "فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ - رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ - وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: العَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ..."[3].

وفي نهاية المطاف جعل الله لأبي نصير وأمثاله كأبي جندل مخرجاً من هذا الضيق، والمؤمن يلتزم تقوى الله في شدته ورخائه، موقناً بأن فرج الله قريب، مصداقاً لوعده سبحانه: {... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} (الطلاق:2)، من هنا يلجأ الذي يتقي الله إلى الصبر، ولا يرضخ للدروب المحرمة والآثمة، مهما بلغ به الابتلاء، وتصعبت المحن.

وبناء على هذا؛ فإن تعارض مصالح الدين والوطن وعموم المسلمين، مع مصالح بعضهم في مسألة التهجير القسري الظالم عن أرض الوطن، يقتضي ترجيح المنع العام للرضوخ لهذا الشرط، حماية لمصلحة عامة، على الرغم من تضرر بعض الأفراد من هذا الترجيح.

التحذير من الرضوخ للتهجير الظالم من الديار والبلاد أو التهاون باستباحة ذلك:

في ضوء ما سبق ينبغي التشديد على التحذير من الرضوخ للتهجير الظالم من

1. انظر نص الحديث، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد.
2. المنثور في القواعد، 1 /349
3. صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

الديار والبلاد، فالخطب جلل، والعواقب جد وخيمة، وليس من المقبول اختزال المسألة بردود تهاونية سطحية النظر، ضيقة الأفق، وقاعدة: "الضرورات التي تبيح المحظورات" تبعد عن قبول الاستناد إليها لتبرير إباحة الهجرة الدائمة من فلسطين بُعْدَ السماء عن الأرض، إذ من المعلوم أن الضرورة التي تبيح المحظور يعرفهاالأصوليون أنها: ما لا تستقيم الحياة إلا بها.والفقهاء عَرَّفوا الضرورة بأنها: ما تلجئ المكلَّف إلى إتيان المحظور حفاظاً على الضرورات الخمس حتى تستقيم حياته، وهذه الضرورات هي: حِفْظ الدين، والعقل، والنفس والنسل، والمال، بحيث إذا فُقِدَت لم تَجْرِ مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتَهارُج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين. والضرورة ترخص ما كان مُحَرَّماً على المضطر قبل حالة الاضطرار، وأحكامها مفصَّلة في كتب الفقه والقواعد الفقهية تحت قاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات).[1]

ومن ضوابط الضرورة التي تبيح المحظور أن يطرأ على الإنسان حالة من الخطر أو المشقة الشديدة التي لا يحتملها جنس بني آدم.[2]

وتُعرف الضرورة كذلك بأنها: ما يلحق العبد ضرر بتركه؛ بحيث لا يقوم غيره مقامه، بخلاف الحاجة فإن الحاجة هي ما يلحق المكلَّف ضرر بتركه، لكنه قد يقوم غيره مقامه.

ومن أمثلتها تهديد المرءبأنه سيُقتل إن لم يقتل، قيل له: أقتل غيرك، وإلا قتلناك.[3]

ويذكر علي بن نايف الشحود أن الضرورة: ما يترتب على عصيانها خطر. أما الحاجة:

1. إبهاج العقول في علم الأصول، ص179، بتصرف.
2. الخير المأمول، ص20.
3. نظم القواعد الفقهية، ص59 - 60.

فهي ما يترتب على عدم الاستجابة إليها عسر وصعوبة. والمراد بكون الحاجة عامة: أن تكون شاملة جميع الأمة، والمراد بكونها خاصة أن يكون الاحتياج لطائفة متخصصة من الأمة كأهل بلد أو حرفة، لا أن تكون فردية.

ظلم التهجير القسري من ديار المهجرين:

ذكر القرآن الكريم وآياته تتنزل من لدن حكيم حليم خبير على قلب خاتم النبيين والمرسلين، صلى الله عليه وسلم، التهجير القسري الذي تمرس الظالمون على فرضه على بعض المستضعفين في الأرض، فقال تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}(الحج:40)

وقوم لوط فرضوا التهجيرالظالم على الصالحين منهم، وعن ذلك يقول جل شأنه: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}

(النمل:56)

وأشار القرآن الكريم إلى تهجير الثلة الأولى من المسلمين من مكة المكرمة بلدهم، فقال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}(الحشر:8)

فالتهجير الذي يجري العمل على فرضه على الفلسطينيين أفراداً وجماعات، هو سنة الظالمين وديدنهم النابع من غطرستهم واستقوائهم، سائلين الله أن يصد عنا كيد الظالمين، وأن يرده بقدرته وعظمته، وأن لا يجعل فينا من يقبل أن يكون وقوداً لهذه المعركة الظالمة، سواء تحت ضغط الظالمين، أو أمام إغوائهم وإغرائهم.

هل من حاجة لمراجعة مسار فتاوى الإجهاض؟

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

يتعلق هذا الموضوع ببعدين خطيرين، أولهما الفتوى، والثاني الإجهاض، فالفتوى يجري بها بيان الحكم الشرعي المستنبط من الأدلة الشرعية، أو التي تقوم على اجتهاد العلماء ببيان الحكم الشرعي في أمور ومسائل يتعرض لها الناس في ضوء الأدلة والقواعد الفقهية، والفتوى بشكل عام غير ملزمة، بخلاف الأحكام القضائية، ومع ذلك؛ فإن الفتوى لها مكانة مهمة، كونها تتعلق ببيان الحكم الشرعي الذي يُحتاج إليه في العقيدة والعبادات والمعاملات، من هنا وصف المفتي بأنه يُوقَع عن رب العالمين. أما البعد الثاني، فهو يتعلق بوجود الخلق وبقائهم أو زوالهم، في ظروف وأحوال قد تكتنفها محاذير شرعية وأخلاقية، والأديان السماوية تشدد على منع الإجهاض وتحريمه، وتضيق إباحة اللجوء إليه في ظروف استثنائية، من خلال فرض شروط للاستثناءوضوابطه.

وبعد مرور فترة زمانية طويلة نسبياً على إصدار فتاوى شرعية من جهات مسؤولة بمنع الإجهاض بشكل عام، أو السماح به في حالات استثنائية محددة؛ فإن الدعوة لإعادة النظر في مسار فتاوى الإجهاض، لتثبيت ما يجب تثبيته منه، والتراجع عما

ينبغي التراجع عنه، يؤمل أن يفضي التجاوب معها إلى العناية بهذا الموضوع، والشروع في البت فيه بما يرضي الله تعالى، وبما يتماشى مع القوانين السارية في بلادنا خاصة، حماية للأجنة، وأهليهم، والأطباء، وأهل الفتوى من الانزلاق- لا قدر الله- في أي محظور.

مشروعية التراجع عن بعض الفتاوى لأمر شرعي:

مراجعة الفتاوى وإعادة النظر فيها، أمر مشروع، إذ الرجوع إلى الصواب أولى من الإصرار على مواقف قد تتناقض مع أحكام شرعية أو قانونية، أو معطيات طبية واضحة.

والرجوع عن الفتوى أو الرأي لسبب شرعي أو مصلحة شرعية مؤصل، إذ ورد عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أنه كان يقول أحياناً: "كنت أمرتكم" ويعدل عن الأمر بعد ذلك، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بَعْثٍ، وَقَالَ لَنَا: (إِنْ لَقِيتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا - لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُمَا - فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْنَاهُ نُوَدِّعُهُ حِينَ أَرَدْنَا الخُرُوجَ، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحَرِّقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا بِالنَّارِ، وَإِنَّ النَّارَ لاَ يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا).[1]

وعَن ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُمْ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ إِلَّا فِي سِقَاءٍ، فَاشْرَبُوا فِي الْأَسْقِيَةِ كُلِّهَا، وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا).[2]

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التوديع
2. صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام، وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء

ويشترط لمثل هذا الرجوع أن يكون لحق وتصويب خطأ، وليس تجاوباً مع هوى أو مزاج، ولا رغبة في تتبع الرخص.

وللشافعي في كثير من المسائل قولين، قول في القديم، وقول في الجديد، لما ظهر له من حجة أقوى، وهكذا قد تجد للإمام مالك أو الإمام أحمد أكثر من رواية في المسألة الواحدة.[1]

خلفيات نبذ التهاون بالإجهاض:

تحدث القرآن الكريم عن خلق الإنسان، ومراحل تكونه في الأرحام وبعد الولادة، فقال جل شأنه: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ... } (الحج:5)

وذكر الرسول، صلى الله عليه وسلم، المراحل الأولى لتكون الجنين في رحم أمه، فقَالَ عَبْدُ اللهِ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَالَ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ...).[2]

وحين يُبحث موضوع الإجهاض يُرجع لدلالات هذا الحديث الشريف، فهو يشكل

1. الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي: 1 /73 - 82.
2. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

قاعدة للاجتهاد خاصة، كما يظهر في آراء الفقهاء والمفسرين والفتاوى المتعلقة بحكم الإجهاض، التي سيتم الوقوف عند عينة منها، بعد التقديم لذلك بتحريم قتل النفس البريئة، في مراحل عمرها المختلفة، مع التركيزعلى جريمة قتل الآباء والأمهات لأولادهم بغض النظر عن الأسباب والوسائل.

تحريم قتل النفس البريئة:

حق الإنسان بالحياة فرضه رب العالمين، ورفع من قدر الذي يعمل على إحياء النفس البريئة ومجازاته، وحذر أشد التحذير من القتل الظالم، والرسول، صلى الله عليه وسلم، عدّ القتل بغير حق من كبائر الخطايا والذنوب والسبع المهلكات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ".(*)

تحريم قتل الأبناء:

لتعلق موضوع هذا المقال بالإجهاض، يحسن التركيزعلى فظاعة قتل الأبناء والأجنة، خاصة حين يحدث هذا الجرم بإرادة الأبوين أو أحدهما، أو فعلهما أو مشاركتهما.

فقد حرم الإسلام قتل الأولاد من قبل آبائهم، وأشار القرآن الكريم لسبب

* صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} (النساء: 10)

كانوايقتلون الأبناء لأجله، وهو الفقر أو الخشية منه، فقال عز وجل: {... وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...}(الأنعام:151) {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً} (الإسراء:31)

ووصف القرآن الكريم المؤمنات بصفات علية، منها: أنهن لا يقتلن أولادهن، فقال عز وجل: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ}(الممتحنة:12)

وبَكَّتَ الله فاعلي الوأد، وشنع صنيعهم، فقال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ...}(التكوير:8 - 9)

والنهي القرآني كان عن الوأد الظاهر الجلي، الذي برز استخدامه في الجاهلية قبل الإسلام، ويذكر النووي أن الوأد دفن البنت وهي حية، وكانت العرب تفعله خشية الإملاق، وربما فعلوه خوف العار،والمؤودة البنت المدفونة حية، ويقال: وأدت المرأة ولدها وأداً، قيل: سميت موؤدة؛ لأنها تثقل بالتراب.(*)

ولم يقتصر النهي عن هذا الوأد بل يشمل أيضاً الوأد الخفي الذي يكون في مرحلة تسبق تَكَّون النُطف، بفعل يطلق عليه وصف العزل، الذي ورد النهي عنه في الحديث الصحيح عَنْ عَائِشَةَ عَنْ جُدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ أُخْتِ عُكَّاشَةَ، قَالَتْ:"حَضَرْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أُنَاسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ، فَنَظَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ، فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلَادَهُمْ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا»، ثُمَّ

* صحيح مسلم بشرح النووي: 10 /17.

سَأَلُوهُ عَنِ الْعَزْلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ».[1] بين النووي أن العزل هو أن يجامع، فإذا قارب الانزال نزع وأنزل خارج الفرج، وهو مكروه في كل حال، وكل امرأة، سواء رضيت أم لا؛ لأنه طريق إلى قطع النسل، ولهذا جاء في الحديث تسميته الوأد الخفي؛ لأنه قطع طريق الولادة، كما يُقتل المولود بالوأد.[2] فإذا كان هذا الحال مع العزل، فكيف بالإجهاض؟!!

إجهاض الجنين بسبب التشوهات الخلقية:

يحرم إجهاض الجنين الذي يكتشف تشوهه، بعد نفخ الروح فيه، ولو كان موته متوقعاً على الغلبة بعد الولادة، إلا أن يشكل خطراً حقيقياً على حياة أمه، فاستبقاء الأم أولى لتحقق وجودها .

وإن اكتشف التشوه قبل مائة وعشرين يوماً، وهو أمر ممكن شرعاً وواقعاً؛ لأن التشوه مرده إلى وجود كروموسومات غير طبيعية في الأجنة، وهو أمر يرافق الجنين في مرحلة النطفة، ويمكن اكتشافه ما بين الأسبوع الرابع حتى السابع غالباً، فيجوز عند بعض العلماء الأقدمين الإجهاض، وهذا ما أقرته المجامع الفقهية المعتبرة ولجان الفتوى الطبية المتخصصة بشروط ، وهي:-

1. أن يكون الاجهاض قبل مرور مائة وعشرين يوماً .
2. أن يتم برضا الزوجين واقرارهما.
3. أن يثبت التشوه بالوسائل والأجهزة المخبرية الحديثة .

---

1. صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب جواز الغيلة، وهي وطء المرضع، وكراهة العزل.
2. صحيح مسلم بشرح النووي: 10 / 9.

4. أن يكون التشوه خطيراً على نحو لا يمكن علاجه .

5. التيقن من التشوه، بحيث يكون وقوعه قاطعاً، ولا شك فيه .

6. أن يثبت ذلك بقرار لجنة طبية متخصصة، يتوافر في أعضائها صفات الدين والتقوى والحذق في المهنة، وأن لا يقل عدد أعضائها عن اثنين .

عقاب قتل الأبناء والتخلص من الأجنة:

صدرت عن دار الإفتاء الفلسطينية فتاوى نصت على عقاب الذي يمارس الإجهاض أو يساعد عليه، ومنها الفتوى المحفوظة في أرشيف الفتاوى والصادرة بتاريخ 7 - 09 2025م ونصها: فإذا أجهض الجنين بعد تخلقه وجبت الدية على من باشر الإجهاض دون من أعان عليه، ومن أعان عليه تجب عليه التوبة النصوح إلى الله تعالى، وهذه الدية هي غرة ـ عبد، أو أمة ـ وهي عشر دية الأم، وتدفع هذه الدية إلى ورثة الجنين على قدر أنصبائهم، ولا يرث القاتل منها شيئاً.(*)

وقد وردت هذه الفتوى، إجابة عن سؤال هذا نصه:

ساعدت بنتاً قاصراً على إجهاض جنين عمره ثلاثة أشهر، نتج عن علاقة غير شرعية، بموافقة والدها، وخوفاً من الفضيحة قمنا بالإجهاض دون تفكير، فما حكم ذلك.

ومرتكب قتل الطفل الناتج عن معاشرة بالحرام تجتمع فيها جريمتان كبيرتان: الزنى والقتل.

الخاتمة:

* فتوى بعنوان حكم إجهاض جنين، دار الإفتاء الفلسطينية - القدس، رقم الفتوى: 1539/2025/ 11/2.

- الأصل حفظ حياة الإنسان قبل الولادة وبعدها، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا في حالات استثنائية قاهرة.

- يلاحظ من فحوى الآراء الواردة في حكم الإجهاض، أن المسألة تخضع للاجتهاد، وقد اختلف حول بعض أبعادها وأحكامها جل العلماء، لمبررات وتأويلات جديرة بالتقدير والاحترام، وهذا الاختلاف يعني مشروعية النظر في المسألة كلما استدعت الظروف والأحوال وتطورات العلم ذلك.

- فتاوى الإجهاض وفق الضوابط التي أخذت بها دار الإفتاء الفلسطينية ومجلسها الأعلى، بحاجة لإعادة دراسة وتقويم، بهدف تجنب الخطأ، والعمل على الأخذ بالصواب بثبات ويقين، وحتى يتم استبعاد أي تناقض بين الفتوى والآراء الطبية الموثوقة، مع ضرورة العمل على الانسجام مع القانون الساري بالخصوص، بما لا يخالف أحكام الشرع الحنيف.

من ظلمات الغار إلى نور الحضارة: رحلة الإيمان وبناء الأمة

د. محمد خليل جاد الله / الوكيل المساعد - دار الإفتاء الفلسطينية

مقدمة:

تمثل الهجرة النبوية نقطة التحول الكبرى في التاريخ الإسلامي، فهي ليست مجرد انتقال مكاني وجغرافي من مكة إلى المدينة، وإنما انتقال حضاري متكامل، نقل الدعوة الإسلامية من مرحلة الاستضعاف الفردي إلى مرحلة بناء الدولة والمجتمع. وقد شكّلت الهجرة النبوية حدثًا استثنائيًا في مسار الرسالة الإسلامية؛ إذ تجلت فيها جل معاني الإيمان والصبر والتخطيط والتضحية، وبرزت من خلالها قدرة الإسلام على صناعة أمة فاعلة تحمل رسالة إنسانية عالمية.

لقد واجه المسلمون في مكة سنوات طويلة من الاضطهاد والتنكيل، حتى أصبحت الهجرة ضرورة لحماية العقيدة وصيانة الإنسان المؤمن. ومن هنا جاءت الهجرة بوصفها تحولًا استراتيجيًا أعاد تشكيل الواقع الإسلامي، ومهّدت لتأسيس أول دولة قائمة على مبادئ العدل والمساواة والأخوة والشورى والإحسان، ولذلك لم يكن اختيار المسلمين للهجرة بدايةً للتقويم الإسلامي أمرًا عابرًا، بل تعبيرًا عن وعي حضاري يرى في الهجرة بدايةً لولادة الأمة وانتقالها من الضعف والهوان إلى التمكين والبناء[*].

* ابن كثير، 2003، 3 /222.

الغار... بداية الطريق وصناعة اليقين:

بدأت ملحمة الهجرة من لحظة الخروج من مكة، بعد أن اشتدت قريش في إيذائها للنبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه على إثر رؤيتها انتشار الدعوة الإسلامية يوماً بعد يوم. فاجتمع زعماء قريش للتخطيط لقتل النبي، صلى الله عليه وسلم، في محاولة لإنهاء الرسالة قبل أن تمتد خارج مكة وتنتشر[1] إلا أن العناية الإلهية أحبطت تلك المؤامرة، فخرج النبي، صلى الله عليه وسلم، برفقة أبي بكر الصديق، متجهًا نحو غار ثور.

ويعد مشهد الغار من أعظم المشاهد الإيمانية في السيرة النبوية، إذ تجلّى فيه اليقين الكامل بالله تعالى رغم شدة الخطر، فقد وصل المشركون إلى باب الغار حتى قال أبو بكر، رضي الله عنه: "يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا"، فأجابه النبي، صلى الله عليه وسلم، بقوله: (مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا)[2]. ويظهر في هذا الموقف العظيم أن الهجرة لم تكن مجرد خطة بشرية محكمة، بل كانت مدرسة تربوية تؤسس لمعنى الثقة المطلقة بالله، مع التأكيد على الأخذ بالأسباب.

كما تكشف أحداث الغار عن عبقرية التخطيط النبوي؛ فقد استخدم النبي، صلى الله عليه وسلم، وسائل دقيقة لإخفاء أثره، مثل الاستعانة بعبد الله بن أبي بكر لنقل الأخبار، وأسماء بنت أبي بكر لإيصال الطعام، وعامر بن فهيرة لإخفاء آثار السير بالأغنام[3]. وهذا يؤكد أن التوكل في الإسلام لا يعني التواكل بترك الأسباب، وإنما الجمع بين العمل البشري بأخذ سبل النجاح وبين الإيمان العميق بالله تعالى.

1. ابن هشام، 2005، 2 /124.
2. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة براءة، بَابُ قَوْلِهِ: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: 40].
3. الصالحي، 1993، 3 /18.

الهجرة بوصفها تحولًا حضاريًا:

لم تكن الهجرة مجرد هروب من الاضطهاد، بل كانت مشروعًا حضاريًا متكاملًا يهدف إلى تأسيس مجتمع جديد قائم على العقيدة والقيم. فقد انتقل المسلمون من حالة الاستضعاف إلى مرحلة بناء الدولة، وهو ما جعل الهجرة بداية فعلية للتاريخ الإسلامي السياسي والاجتماعي.

فعندما وصل النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة المنورة، بدأ فورًا في وضع أسس المجتمع الجديد، وكانت أولى خطواته بناء المسجد النبوي، الذي لم يكن مكانًا للعبادة فقط، بل مركزًا للتعليم والإدارة والتشاور وتنظيم شؤون المجتمع[1]. وأدرك النبي، صلى الله عليه وسلم، أن بناء الإنسان يسبق بناء المؤسسات، لذلك ركّز على ترسيخ العقيدة والأخلاق وروح الجماعة.

ومن أبرز مظاهر التحول الحضاري بعد الهجرة نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهو نظام اجتماعي غير مسبوق في التاريخ؛ إذ تجاوز الروابط القبلية والمصالح المادية، وأقام العلاقة بين المسلمين على أساس الإيمان والأخوة الإنسانية. ووصف القرآن هذا النموذج بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: 9). ويشير ذلك إلى نجاح الإسلام في بناء مجتمع متماسك قائم على التكافل والتضحية[2].

كما وضع النبي، صلى الله عليه وسلم "صحيفة المدينة" التي تعد من أوائل الوثائق الدستورية في التاريخ، حيث نظمت العلاقة بين المسلمين واليهود وسائر سكان

1. الغزالي، 2005، ص: 177
2. الندوي، 1998، ص: 154

المدينة، وحددت الحقوق والواجبات ومبادئ التعايش والسلم الاجتماعي[1]. وقد أسست هذه الوثيقة لفكرة الدولة المدنية القائمة على التعددية والعدالة واحترام العهود.

الهجرة وبناء مفهوم الدولة في الإسلام:

شكّلت الهجرة نقطة الانطلاق لبناء مفهوم الدولة في الإسلام، حيث انتقلت الدعوة من الطابع الفردي إلى التنظيم المؤسسي. فقد أصبح للمسلمين كيان سياسي مستقل، له قيادة وجيش ونظام اجتماعي واقتصادي.

وقامت الدولة الإسلامية في المدينة على مجموعة من المبادئ الأساسية، أبرزها: العدالة والشورى والمساواة. فلم يكن التفاضل قائمًا على القبيلة أو الثروة، بل على التقوى والعمل الصالح، وهو ما أحدث تحولًا جذريًا في المجتمع العربي الذي كانت تحكمه العصبية القبلية[2].

كما أن الهجرة أظهرت البعد العالمي للرسالة الإسلامية؛ إذ لم تعد الدعوة محصورة في نطاق مكة، بل أصبحت مشروعًا إنسانيًا مفتوحًا على العالم. وبعد سنوات قليلة من الهجرة، بدأت الوفود تأتي إلى المدينة، وامتدت الدعوة إلى خارج الجزيرة العربية، مما يؤكد أن الهجرة كانت البداية الحقيقية لانتشار الإسلام عالميًا[3].

ومن الجوانب المهمة أيضًا أن الهجرة أسست لمفهوم "المواطنة" المبني على التعاقد والالتزام بالقانون، وليس على الانتماء العرقي فقط. وقد ظهر ذلك بوضوح في وثيقة المدينة التي اعتبرت سكان المدينة "أمة واحدة" رغم اختلاف دياناتهم وأعراقهم[4].

1. حميد الله، 1987، ص: 57
2. الصلابي، 2004، 1/301.
3. هيكل، 2003، ص: 215
4. حميد الله، 1987، ص: 61

الدروس المعاصرة المستفادة من الهجرة:

لا تزال الهجرة النبوية تحمل دروسًا عميقة للمجتمعات المعاصرة، خاصة في أوقات الأزمات والتحولات. فهي تعلم الإنسان أن التغيير يبدأ من الإيمان بالفكرة والاستعداد للتضحية من أجلها. كما تؤكد أن بناء الأمم لا يتحقق بالعاطفة وحدها، بل بالتخطيط والعمل والصبر.

ومن أهم الدروس المستفادة من الهجرة أن الأزمات قد تكون بداية لصناعة المستقبل؛ فالمسلمون خرجوا من مكة في ظروف قاسية، لكنهم استطاعوا خلال سنوات قليلة بناء دولة قوية أثّرت في مجرى التاريخ. وهذا يرسخ مفهوم الأمل وعدم الاستسلام للواقع مهما كانت الظروف والتحديات[*].

كما تؤكد الهجرة أهمية الوحدة والتكافل الاجتماعي، إذ لم يكن نجاح الدولة الإسلامية ممكنًا لولا التعاون بين المهاجرين والأنصار. وفي زمن تتزايد فيه النزاعات والانقسامات، تبقى الهجرة نموذجًا ملهمًا لبناء المجتمعات المتماسكة القائمة على الاحترام والتضامن.

وتكشف الهجرة كذلك عن قيمة القيادة الواعية؛ فقد جمع النبي ﷺ بين الحكمة السياسية والرحمة الإنسانية والحنكة العسكرية، ما جعله قادرًا على إدارة التحولات الكبرى بحكمة واتزان. ولذلك تعد السيرة النبوية مصدرًا مهمًا للدراسات الإدارية والقيادية المعاصرة.

خاتمة:

هكذا بقيت الهجرة النبوية حدثًا يتجاوز حدود الزمان والمكان، لأنها لم تكن

* الغزالي، 2005، ص: 188

رحلة نجاة فحسب، بل مشروع بناءٍ حضاري وإنساني غيّر وجه التاريخ. لقد أثبتت الهجرة النبوية أن الإيمان الصادق قادر على صناعة الأمل وسط الشدائد والمحن، وأن الأمم العظيمة تُبنى بالصبر والتضحية والثبات على المبادئ. فمن غار ثور إلى رحاب المدينة المنورة، سطّر النبي، صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام نموذجًا خالدًا في الإخلاص والعمل والتوكل على الله، لتظل الهجرة مدرسةً متجددة، تستلهم منها الأجيال معاني العزة والإرادة وبناء الأوطان والإنسان.

وإذا كانت الهجرة قد صنعت في الماضي حضارة امتدت آثارها إلى العالم كله، فإن الأمة اليوم أحوج ما تكون إلى استحضار معانيها العميقة؛ لتجدد هجرتها من الضعف إلى القوة، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن الجمود إلى النهضة؛ لتحقق عزتها وازدهارها.

المراجع

* البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). **صحيح البخاري**. تحقيق محمد زهير الناصر. دار طوق النجاة، ج5، ص 45.
* ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (2003). **البداية والنهاية**. دار هجر، ج3، ص 222–230.
* ابن هشام، عبد الملك. (2005). **السيرة النبوية**. تحقيق مصطفى السقا وآخرين. دار المعرفة، ج2، ص 124–135.
* الغزالي، محمد. (2005). **فقه السيرة**. دار القلم، ص 177–188.
* حميد الله، محمد. (1987). **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**. دار النفائس، ص 57–61.
* الندوي، أبو الحسن علي الحسني. (1998). **السيرة النبوية**. دار القلم، ص 154–160.
* الصالحي، محمد بن يوسف. (1993). **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**. دار الكتب العلمية، ج3، ص 18–25.
* الصلابي، علي محمد. (2004). **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**. دار المعرفة، ج1، ص 301–315.
* هيكل، محمد حسين. (2003). **حياة محمد**. دار المعارف، ص 215–223.

أهم الأحداث التاريخية في شهري محرم وصفر

أ. شريف مفارجة / باحث شرعي / دائرة البحوث الشرعية

يحفل التاريخ الإسلامي بسجل غني بالأحداث التي أسهمت في تشكيل مسيرة الأمة الإسلامية عبر العصور، ويُعد التقويم الهجري من أبرز مظاهر هذا التاريخ، إذ ارتبط بأحداث مفصلية كان لها أثر كبير في بناء الدولة الإسلامية وتطورها عبر الزمن، ويأتي شهر محرم في مقدمة السنة الهجرية، يليه شهر صفر، وهما من الأشهر التي شهدت وقائع مهمة على المستويات الدينية والسياسية والعسكرية والاجتماعية، وتكمن أهمية دراسة هذه الأحداث في استخلاص الدروس والعبر التي تساعد على فهم تطور المجتمع الإسلامي، كما تُسهم في تعزيز الوعي التاريخي لدى المسلمين، وتربطهم بماضيهم المجيد، ومن خلال هذا المقال سيتم عرض أبرز الأحداث التي وقعت في شهري محرم وصفر، مع بيان دلالاتها وتأثيرها في مسيرة الأمة الإسلامية عبر مختلف المراحل التاريخية، وتحليل ما تحمله من معانٍ عميقة تساعد على فهم الواقع واستشراف المستقبل.

شهر محرم وأهم الأحداث فيه:

شهر محرم من الأشهر الحُرُم التي لها مكانة عظيمة في الإسلام، وقد شهد هذا

الشهر كثيراً من الأحداث المهمة التي أثرت في التاريخ الإسلامي، سواء من الناحية الدينية أم السياسية أم الاجتماعية.

مكانة شهر محرم:

ورد ذكر الأشهر الحرم في القرآن الكريم، حيث بيّن الله تعالى أن منها أربعة حرم، شهر محرم أحدها، وأفضل الصيام بعد رمضان هو صيام شهر الله المحرم، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ»[1]، ما يدل على مكانته الدينية الكبيرة، ويُظهر اهتمام الإسلام بالعبادة في هذا الشهر، ويعكس ارتباط الزمن بالعبادة في حياة المسلم.

يوم عاشوراء، ونجاة موسى، عليه السلام:

يوم عاشوراء من أعظم أيام شهر محرم، حيث نجّى الله تعالى فيه النبي موسى، عليه السلام، وقومه من فرعون، وكان ذلك نصرًا للحق على الباطل، وقد صام النبي محمد ﷺ هذا اليوم شكرًا لله، وأمر المسلمين بصيامه، فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ»[2]، ولما سئل النبي، صلى الله عليه وسلم، عن صيام يوم الإثنين، قال: (ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ

1. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم
2. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء

أَنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ)[1]، إشارة إلى استحباب صيام الأيام التي تتجدد فيها نعم الله على عباده ...، ونظير هذا صيام يوم عاشوراء، حيث أنجى الله فيه نوحاً من الغرق، ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده وأغرقهم في اليم، فصامه نوح وموسى شكراً لله، وصامه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، متابعة لأنبياء الله، وقال لليهود: (نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ)[2]، ما يدلُّ على أهمية هذا الحدث في التاريخ الديني، وأنه يعكس قيمة الشكر لله على نعمه، ويؤكد وحدة الرسالات السماوية وترابطها عبر الزمن.

اعتماد التقويم الهجري:

في عهد عمر بن الخطاب، اعْتمِدت الهجرة النبوية بداية للتقويم الإسلامي، واختير شهر محرم ليكون أول شهور السنة، ويُعد هذا القرار من أهم الإنجازات الإدارية في الدولة الإسلامية، إذ ساهم في تنظيم شؤون المسلمين، وتوحيد تاريخهم، وربطهم بحدث الهجرة الذي يُمثّل بداية بناء الدولة الإسلامية وتأسيسها على أسس قوية.[3]

فتح خيبر:

فتح خيبر من الأحداث المهمة التي وقعت في هذا الشهر، على الرغم من وجود خلاف بين المؤرخين في الوقت المحدد لهذه الحادثة، حيث إن ابن إسحاق، وابن حجر، يذكران أنها وقعت في شهر محرم، بينما يذكر الواقدي إن وقوعها كان في

1. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس.
2. سنن ابن ماجة، كتاب الصيام، باب صيام يوم عاشوراء، وصححه الألباني.
3. البداية والنهاية، ابن كثير: 3 /251 - 253

شهر صفر، أو في شهر ربيع الأول من العام نفسه، حيث تمكن المسلمون من تحقيق انتصار كبير على اليهود في خيبر بعد سلسلة من المواجهات، وقد أدى هذا الفتح إلى تعزيز قوة المسلمين اقتصاديًا وعسكريًا، كما ساهم في تأمين الدولة الإسلامية من التهديدات الخارجية، وكان له دور مهم في تثبيت أركانها وترسيخ نفوذها في المنطقة، ولما فتحت خيبر، وقع الرعب في قلوب القرى اليهودية القريبة من خيبر، مثل أهل فدك، ويهود وادي القرى، وتيماء، فعرضوا على النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يدفعوا نصف حاصلاتهم من غير قتالٍ فوافق.[1]

معركة كربلاء وأثرها:

معركة كربلاء من أبرز الأحداث التي وقعت في هذا الشهر، حيث استُشهد الحسين بن علي في العاشر من محرم، وشكّلت هذه المعركة نقطة تحول كبيرة في التاريخ الإسلامي، إذ لم تكن مجرد مواجهة عسكرية، بل كانت صراعًا بين مبادئ متعددة تتعلق بالعدل والحق والسلطة، وأدت هذه الحادثة إلى ظهور انقسامات سياسية وفكرية داخل المجتمع الإسلامي، وأصبحت رمزًا للتضحية والثبات على المبادئ في وجه الظلم.

وقد وثّق المؤرخون هذه الواقعة في كتب، مثل "تاريخ الطبري"، "والبداية والنهاية"، حيث تناولوا تفاصيلها وأبعادها المختلفة وتأثيرها في مسار التاريخ الإسلامي.[2]

1. سيرة ابن هشام: 4/ 1154 - 1182
2. البداية والنهاية، ابن كثير: 7/336، وتاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط: 1 /59

شهر صفر وأهم الأحداث فيه:

يأتي شهر صفر بعد محرم، وفيه وقعت أحداث مهمة، على الرغم من أن بعض العرب في الجاهلية كانوا يتشاءمون منه، وهو ما أبطله الإسلام، وأزال ما ارتبط به من خرافات.

إبطال التشاؤم من شهر صفر:

كان العرب في الجاهلية يعتقدون أن شهر صفر شهر نحس ومصائب، فجاء الإسلام ليصحح هذه المفاهيم الخاطئة، حيث ورد عن النبي ﷺ، أنه قال: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ »(*)، ويُظهر هذا الحديث حرص الإسلام على إزالة الخرافات، وتعزيز الإيمان بالله، وترسيخ مبدأ التوكل عليه في الأمور جميعها، وعدم ربط الأحداث بالأوهام.

الغزوات الأولى في الإسلام:

شهد شهر صفر عددًا من الغزوات التي تُعد بدايات التنظيم العسكري في الدولة الإسلامية، وعلى الرغم من أن بعض هذه الغزوات لم تشهد قتالًا مباشرًا، فإنها كانت ذات أهمية كبيرة في بناء قوة المسلمين وتنظيم صفوفهم، وإعدادهم لمواجهة التحديات، ومن أبرز الغزوات في هذا الشهر:

غزوة الأبواء: هي أول غزوة خرج فيها النبي ﷺ، وكان هدفها مراقبة تحركات قريش، وإظهار قوة المسلمين.

حادثة الرجيع: حادثة الرجيع من الأحداث المؤلمة في تاريخ الدعوة الإسلامية،

* صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الجذام

حيث تعرّض عدد من الصحابة للخيانة في أثناء دعوتهم للإسلام، ما أدى إلى استشهاد عدد منهم، وتُظهر هذه الحادثة حجم التحديات التي واجهها المسلمون في نشر الدعوة، كما تعكس صبرهم وثباتهم وإخلاصهم.

حادثة بئر معونة: وقعت في شهر صفر سنة أربع للهجرة، بعد استشهاد عدد كبير من الصحابة الذين أُرسلوا لتعليم الناس الإسلام، وقد تركت هذه الحادثة أثرًا كبيرًا في المجتمع الإسلامي، وأظهرت حجم التضحيات التي قدّمها الصحابة في سبيل نشر الدين، كما عززت الوعي بخطورة الغدر والخيانة.[1]

بداية مرض النبي، ﷺ:

تشير بعض الروايات إلى أن بداية مرض النبي ﷺ كانت في أواخر شهر صفر، وهو الحدث الذي مهّد لوفاته لاحقًا، وقد شكّل ذلك مرحلة مهمة في تاريخ المسلمين، حيث بدأت الاستعدادات لمرحلة ما بعد النبي ﷺ، وما ترتب عليها من تغيرات سياسية وتنظيمية في الدولة الإسلامية.[2]

التحليل التاريخي للأحداث:

عند دراسة الأحداث التي وقعت في شهري محرم وصفر، يمكن ملاحظة أنها تمثل مراحل مختلفة من تطور الدولة الإسلامية، ففي شهر محرم، تبرز الأحداث ذات الطابع الديني والسياسي، مثل يوم عاشوراء، ومعركة كربلاء، بينما يظهر في شهر صفر الجانب العسكري، والتنظيمي، من خلال الغزوات والحوادث المختلفة.

1. الطبقات الكبرى، لابن سعد: 2 / 8 و51 و55
2. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: 7 / 735 - 737

كما تكشف هذه الأحداث عن أهمية القيادة في إدارة الأزمات، ودور الإيمان في مواجهة التحديات، إضافة إلى التضحيات التي قدّمها المسلمون في سبيل نشر الإسلام، وتُظهر أيضًا كيف تطورت الدولة الإسلامية من مرحلة الدعوة إلى مرحلة بناء الدولة، وكيف واجه المسلمون الصعوبات بإرادة قوية وعقيدة راسخة.

الخاتمة:

يتضح مما سبق أن شهري محرم وصفر يحملان أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي، لما شهده كل منهما من أحداث أثرت في مسيرة الأمة الإسلامية، وقد قدّمت هذه الأحداث دروسًا عظيمة في الصبر والثبات، وأظهرت قدرة المسلمين على مواجهة التحديات وبناء دولتهم على الرغم من الصعوبات.

إن دراسة هذه الأحداث لا تقتصر على معرفة التاريخ فقط، بل تُسهم في فهم الواقع، واستخلاص العبر التي تساعد على بناء مستقبل أفضل، وهو ما يجعل من دراسة التاريخ الإسلامي أمرًا ضروريًا لكل مسلم يسعى لفهم ماضيه، والاستفادة منه في بناء حاضره ومستقبله.

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. حرمة التعدي على الأملاك الوقفية

السؤال: لوحظ في الآونة الأخيرة وجود حالات تعدٍ على الأملاك الوقفية، سواء بالاستيلاء عليها، أم الانتفاع بها دون وجه حق، وتأخير بعض المنتفعين في سداد المستحقات المالية المترتبة عليهم مقابل هذا الانتفاع، فما حكم التعدي على الأملاك الوقفية بأي صورة من الصور، والانتفاع بهذه الأملاك دون وجه حق أو دون الالتزام بالشروط المحددة، وتأخير دفع المستحقات المالية المترتبة على المنتفعين أو الامتناع عنها؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد أشار مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين في قراريه 1/ 115 بتاريخ 20/ 3/ 2014م، و 4/ 30 بتاريخ 22/ 6/ 1999م، إلى أن الوقف أصل من أصول الشريعة، وبين ضوابط التصرف فيه واستثماره، وأنه ينبغي المحافظة عليه، وصيانته، والعناية به، ومراقبة نُظَّاره.

والأملاك الوقفيّة مصونة ومحوطة بسياج قويّ من الحماية، حيث يحرّم الاعتداء عليها بالصور كافة؛ سواء بالاختلاس، أم الاستيلاء، أم الانتفاع بها دون وجه حق، أو عدم الالتزام بالشروط التي حدّدها الواقف، ولا يقتصر التعدّي على سلب الأعيان فقط، بل يمتدّ ليشمل التأخير أو الامتناع عن دفع المستحقّات الماليّة المترتّبة على المنتفعين، وهو فعل محرّم؛ لما يلحقه من ضرر جسيم بديمومة نفع الوقف وتعطيل مقاصده؛ والاعتداء على الأملاك الوقفية يُعدّ أعظم إثماً من التعدّي على المال الخاص؛ لأنه اعتداء على حق الأمّة، ما يجعل صونها واجباً شرعيّاً ووطنيّاً لضمان إقامة مصالح المسلمين الدينيّة والدنيويّة، ويندرج مثل هذا التعدي ضمن أكل أموال الناس بالباطل، والغلول، المنهي عنهما، والله تعالى يقول: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}(النساء: 29)، وعَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ، رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ، صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: (إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ)[1]، وقال، صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ، وَالْيَتِيمَ، وَابْنَ السَّبِيلِ - أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[2]، ينصُّ هذان الحديثان على حرمة التخوض في مال الله والتصرف فيه بالباطل، وأن من يفعل ذلك ليس له إلا النار يوم القيامة[3]، والله تعالى أعلم.

1. صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} (الأنفال: 41).
2. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا.
3. فتح الباري لابن حجر العسقلاني: 6/ 219.

2. حكم التداوي بجفاف جذع نبتة بطريقة معينة

السؤال: يوجد شخص يعالج الأمراض، ومنها: مرض (عرق النسا) بطريقة غريبة جداً؛ تتمثل بأخذ اسم المريض واسم والدته، ويقوم بإحضار جذر نبتة -لا يحضرني اسمها حالياً-، ويُعلّق هذا الجذر داخل المنزل، فإذا جفّ أو يبس فإن المريض يشفى، فما حكم ذلك؟

الجواب: حفظ النفس من الضرورات الخمس التي جاء الإسلام بها، وهي: (الدين والعقل والنفس والمال والنسل)، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، حث على التداوي، فعن جابر، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

والله تعالى جعل الشفاء يحصل بأحد طريقين: إما بالأخذ بالسبب الشرعي من الرقى ونحوها، التي علمنا إياها النبي، صلى الله عليه وسلم، وتنفع في علاج أمراض كثيرة، والرقى نوعان، أحدهما منهي عنه؛ وهو الذي فيه شرك أو توسل بغير الله تعالى أو ألفاظ مجهولة لا يعرف معناها، وثانيهما مشروع، وهو الذي يكون سليماً من ذلك، والنبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»[2]، ويقول صلى الله عليه وسلم: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ»[3]

وإما بالتداوي عن طريق الأسباب الحسية المعروفة عند الأطباء الثقات، وما لم يكن

1. صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي.
2. صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك.
3. صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة.

سبباً شرعاً ولا حساً لم يجز اعتقاد كونه سبباً.

وقد نهى الشرع عن تعليق التمائم والحذاء والخرز ونحوهما، ومن فعل ذلك وقع في الشرك الأصغر قال، صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»[1]، وعن عقبة بن عامر الجهني، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»[2]

وعليه؛ فالطريقة المذكورة في السؤال التي يستخدمها المعالج في علاج الأمراض، طريقة مبهمة، تدخل في الشرك الأصغر، ولا يوجد رابط عقلي أو طبي يثبت أن جفاف نبتة معلقة في الهواء يؤدي إلى زوال مرض عضوي، والله تعالى أعلم.

3. حكم الحائل الذي يمنع وصول الماء

السؤال: ما حكم وجود بعض الحوائل اليسيرة التي قد تمنع وصول الماء إلى البشرة في أثناء الوضوء أو الغسل، مثل: القشور الدموية الجافة المتكونة فوق الجروح التي يؤدي نزعها إلى إعادة فتح الجرح، وخيوط الجوارب الدقيقة العالقة بين الأصابع أو تحت الأظفار التي تصعب إزالتها بالكامل، وكذلك الأوساخ اليسيرة تحت الأظفار؟

الجواب: اتفق الفقهاء على اشتراط إزالة ما يَمْنَع وصول الماء إلى الجسد ليصح الوضوء؛ على اختلافٍ بينهم في بيان المانع وصفته؛ فيشترط وصول الماء إلى أعضاء

1. سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم، وصححه الألباني.
2. مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني (1) عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الأرنؤوط: حديث حسن.

الوضوء، وإزالة ما يعلق بها[1]

والجلد الميت إذا كان منفصلاً عن جسم الإنسان ويمكن إزالته، مثل الجلد الميت حول الأظفار وغيرها، ينبغي إزالته قبل الوضوء حتى لا يمنع وصول الماء إلى أعضاء الوضوء، وجاء في حاشية قليوبي: "وَيَجِبُ غَسْلُ مَا عَلَى الْيَدَيْنِ مِنْ شَعْرٍ، وَإِنْ كَثُفَ وَطَالَ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَيَجِبُ إزَالَةُ مَا عَلَيْهِمَا مِنْ نَحْوِ جِرْمٍ، كَشَمْعٍ يَمْنَعُ وُصُولَ الْمَاءِ، وَلَا يَضُرُّ لَوْنٌ، نَحْوَ صَبَّاغٍ، وَلَا دُهْنٌ لَا جِرْمَ لَهُ، وَيَجِبُ إزَالَةُ نَحْوِ قَشْفٍ مَيِّتٍ وَمَا تَحْتَ ظُفْرٍ مِنْ وَسَخٍ يَمْنَعُ الْمَاءَ"[2]، أما إذا كان الجلد الميت ملاصقاً للجسم، وتتعذر إزالته فلا يؤثر وجوده في صحة الوضوء؛ لأنه جزء من الجسم.

والأوساخ تحت الأظفار أو ما قد يعلق بين الأصابع من أوساخ أو خيوط، فإن كانت يسيرة لا تشكل حائلًا، فلا تمنع من صحة الوضوء أو الغسل، قال البهوتي: "ولا يضر وسخ يسير تحتها، ولو منع وصول الماء؛ لأنه مما يكثر وقوعه عادة... ويلحق بذلك كل يسير منع وصول الماء حيث كان"[3]

وبالنسبة إلى الدم قليله أو كثيره من غير السبيلين فلا ينقض الوضوء على الصحيح من أقوال أهل العلم؛ لأنه لم يرد ما يدل على نقض الوضوء بخروج الدم من غير السبيلين، والأصل البقاء على البراءة الأصلية، فلا يصار إلى القول إن الدم ناقض إلا بدليل ناهض، وقد استدلوا بما ورد أن رجلين من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، حرسا المسلمين في غزوة ذات الرقاع، فقام أحدهما يصلي، فرماه رجل من

1. مراقي الفلاح، ص: 30، الموسوعة الفقهية الكويتية: 43/ 329.
2. حاشية قليوبي وعميرة: 1 /56.
3. كشاف القناع: 1 /223.

الكفار بسهم فنزعه، وصلى ودمه يجري، وعلم النبي، صلى الله عليه وسلم، به ولم ينكره[1]، والله تعالى أعلم.

4. حكم تسريب أسئلة الامتحانات وبيعها

السؤال: يوجد في المدارس الأمريكية امتحان يُسمى «الكليب» يُعادل شهادة التوجيهي عندنا، وتوجد لهذا الامتحان تسريبات؛ إذ يجري على مدار أسبوع، فيقوم بعض الطلاب بأخذ الأسئلة وبيعها، ومن يشتري هذه التسريبات يضمن الحصول على 30 علامة دون الحاجة إلى الدراسة، فما حكم ذلك؟

الجواب: الأصل في المرء أن يجد ويجتهد في تحصيله العلمي بعيداً عن الغش، ولا يجوز أخذ الأسئلة وبيعها وهي خاضعة لملكية مؤسسة أو جهة معينة لم تأذن ببيعها أو تصويرها أو غير ذلك من التصرفات التي تخالف أحكام الشرع في البيع والشراء أو القوانين والأنظمة السارية، والعلامات التي يحصل عليها بعض الطلبة جراء شراء هذه التسريبات تعد من ثمار الغش الذي حرمه الشرع، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»[2]، والله تعالى أعلم.

5. صنع الطعام لأهل المتوفى وضوابط تنظيمه

السؤال: نحن عائلة ممتدة كبيرة تتألف من فروع عدة، قرّر منظمو العائلة أن يتحمل كل فرع مبلغ 1200 شيقل كمساهمة لتغطية نفقات طعام الميت، غير أن أعداد الفروع تختلف من فرع لآخر؛ فبعض الفروع تضم 200 فرد بينما بعضها الآخر يضم 10 أفراد، إما لوجودهم خارج الوطن أو لقلة عددهم، وبالتالي، ينشأ تفاوت

1. سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء من الدم، وحسنه الألباني.
2. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

في مقدار ما يدفعه كل فرع، فما حكم هذا التفاوت؟

الجواب: صنع الطعام لأهل المتوفى من السنة، باتفاق المذاهب الفقهية[1]، فقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم، عند وفاة جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه: (اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ)[2].

والأصل اتباع السنة النبوية بصنع الطعام لأهل الميت؛ إعانة لهم، وجبراً لقلوبهم؛ لانشغالهم بمصيبتهم، ودور الناس للمحافظة على هذه السنة يكون عبر العمل بهذه السنة التعاونية التي يتم من خلالها إطعام أهل الميت ضمن المقدور دون إسراف، ولا يرهق كاهل الفقراء، وأن لا يُعد جزءاً من متطلبات الجنائز.

وبشكل عام، فهذه مسألة عائلية اجتماعية تتعلق بأطراف عدة، يتم التعامل معها وفق الأعراف الشرعية السائدة، حسب ما يقرره أهل الحل والعقد لدى العائلات.

6. فرشاة الأسنان المصنوعة من شعر الخنزير

السؤال: ما حكم استخدام فرشاة شعر مصنوعة من شعر الخنزير؟

الجواب: اتفق الفقهاء على حرمة لحم الخنزير ونجاسته، واختلفوا في شعره، فذهب الجمهور من الفقهاء إلى نجاسته، فلا يجوز استعماله لأنه استعمال للعين النجسة[3]، وقال الكاساني الحنفي: "والصحيح أنها - أي أجزاء الخنزير التي لا دم فيها- نجسة؛ لأنّ نجاسة الخنزير ليست لما فيه من الدم والرطوبة بل لعينه"[4]، وَعِنْدَ

1. تبيين الحقائق: 1 /246، المجموع: 5 /319، كشاف القناع: 2 /149.
2. سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب صنعة الطعام لأهل الميت، وحسنه الألباني.
3. الموسوعة الفقهية: 20/ 35
4. بدائع الصنائع للكاساني: 1/ 63.

الشَّافِعِيَّةِ "لَوْ خُرِزَ خُفٌّ بِشَعْرِ الْخِنْزِيرِ لَمْ يَطْهُرْ مَحَل الْخَرْزِ بِالْغَسْل أَوْ بِالتُّرَابِ لَكِنَّهُ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، فَيُصَلَّى فِيهِ الْفَرَائِضُ وَالنَّوَافِل لِعُمُومِ الْبَلْوَى"[1]، وقال المرداوي الحنبلي: "والصحيح من المذهب: أنهما، أي يعني الكلب والخنزير، والمتولد منهما أو من أحدهما وجميع أجزائهما : نجس، وعليه جماهير الأصحاب، وقطع به أكثرهم"[2].

وانفرد المالكية بالقول بطهارة شعر الخنزير إذا جُزَّ جزًا ولم ينتف؛ لأنه -أي الشعر- طاهر حال الحياة، فإن نُتف فإنّ أُصولَهُ نجسة، وأعلاه طاهر[3]، وذلك لعموم قوله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ}(النحل: 80)، فقالوا: إنّ الآية سِيقت للامتنان، فهي تشمل الحياة والموت، واستدلوا بالمعقول على أنّ الشعر مما لا تَحله الحياة –أي لا يحسّ ولا يتألم-، وما لا تحله الحياة لا ينجس بالموت، إلا أنه يستحب غسله للشك في طهارته ونجاسته[4].

ونميل إلى ترجيح القول بنجاسة شعر الخنزير.

وعليه؛ فلا يجوز استعمال شعر الخنزير إلا إذا استحال، أي تغير من حالة إلى حالة بفعل عمليات التصنيع، إلا أنّ الأولى للمسلم التنزّه عن استعماله، وذلك خروجًا من الخلاف.

1. أسنى المطالب لزكريا الأنصاري: 1/ 21.
2. الإنصاف للمرداوي: 1/ 310
3. حاشية الدسوقي: 1/ 49
4 . الموسوعة الفقهية: 20/ 35.

الظن بين المحظور والمأمور

الشيخ د. أحمد شوباش/مفتي محافظة نابلس/عضو مجلس الإفتاء الأعلى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

وردت مفردة الظن وتصريفاتها في كثير من المواضع من الكتاب والسنة، جاء بعضها مأموراً به، وأخرى منهياً عنه، كما ورد بعضها في مورد المدح، وبعضها في مورد الذم، ومنها ما يتعلق بالأفكار والمعتقدات، وأخرى تتعلق بالأشخاص، ومنها ما يتعلق بالإيمان وسلوكات المسلم ومعاملاته وعباداته.

وقد استنبط العلماء من تلك النصوص أحكاماً شرعية وسلوكات دينية، يمكن الإشارة إلى بعضها، وتقديم بعض الإضاءات عليها.

الظن في اللغة والاصطلاح:

الظن في لغة العرب مصدر الفعل ظنن، وهو اسم لما يحصل عن إمارة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد التَوْهّم.(*)

والظنّ أُصيل صحيح يدل على معنيين مختلفين؛ يقين وشك، فأما اليقين، فكما جاء في قوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ}(البقرة: 249)، أراد "ويوقنون" وهو

*. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، 307، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق - بيروت، ط1، 1412هـ

في القرآن كثير، والأصل الآخر: الشك، ومنه الظِّنة أي التهمة، والدَيْن الظنون: الذي لا يدرى أيقضى أم لا، والظَّنون: السيء الظن.[1]

وقد ورد الظن في القرآن مجملاً على أربعة أوجه: بمعنى اليقين، وبمعنى الشك، وبمعنى التهمة، وبمعنى الحسبان[2]، ونقل ابن الجوزي عن أهل التفسير وجهاً خامساً، هو الكذب، كما في قوله تعالى: {وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}(النجم: 28)[3]، وللتفريق بين حمل المعنى على اليقين أو حمله على الشك في القرآن ضابطان[4]:

أحدهما: أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذموماً متوعداً عليه بالعذاب فهو الشك.

والثاني: أن كل ظن يتصل به (أن) المخففة فهو شك، نحو: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ} (الفتح: 12)، وكل ظن يتصل به (إنَّ) المشددة فهو يقين، لقوله تعالى: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}(الحاقة: 20)

وفي الاصطلاح: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك، وقيل: الظن: أحد طرفي الشك بصفة الرجحان.[5]

والظن عند الفقهاء من قبيل الشك؛ لأنهم يريدون به التردد بين وجود الشيء

1. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة ظن، 3 /463، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.
2. الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 3 /545، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة، 1416هـ - 1996م.
3. ابن الجوزي: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، 426، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1404هـ، 1984م.
4. الكفوي: الكليّات، 588، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
5. الجرجاني: التعريفات، 144، ضبطه وصححه مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.

وعدمه، سواء استويا أو ترجّح أحدهما.[1]

الظن بالله تعالى، ما المأمور به وما المحظور؟

في مسألة متعلقة بالعقيدة وبالإيمان، يحظر على المسلم سوء الظن بالله تعالى؛ لأنه منهي عنه، وهو محرّم، بينما حسن الظن بالله تعالى مأمور به وفرض[2]، ودليل ذلك ما ورد عن جابر قال: سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، قبل وفاته بثلاث يقول: "لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ"[3] ومعنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قال العلماء: فالإنسان في حالة الصحة يكون خائفاً راجياً، ويكونان سواء، وقيل يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلّب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له، ويؤيد ذلك أن العبد يبعث على نيته وعلى ما مات عليه[4]، وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي"[5].

فحسن الظن بالله معناه التعلق برحمة الله وعفوه ومغفرته، وحسن التوكل عليه والخوف منه،ورجائه وثقة العبد بكل ذلك، وعدم القنوط أو اليأس منه.[6]

1. الكفوي: الكليّات، 593، ابن نجيم المصري: الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، 63، وضع حواشيه وخرّج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان 1419هـ - 1999م.
2. الرملي: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، 2 /439، دار الفكر، بيروت، ط أخيرة، 1404هـ - 1984م، وحاشية الرملي على أسنى المطالب، 1 /296، ط المكتبة الإسلامية.
3. صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.
4. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 17 /210، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ
5. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى.
6. راجع كتاب: ابن أبي الدنيا: حسن الظن بالله، المحقق: مخلص محمد، دار طيبة، الرياض، ط1، 1408هـ - 1988م.

الظن بالمسلمين، ما يأمر به الشرع وما ينهى عنه:

وفي مسألة تتعلق بمعاملة المسلم لأبناء دينه وسلوكه معهم، فإن سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة محظور ومنهي عنه ومحرم[1]، فعن صفية بنت حيي قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالاَ سُبْحَانَ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا"[2].

والظن المحظور هنا: تهمة تقع في القلب بلا دليل[3]، ولما كان السوء ما يقابل الحسن أو كل ما يقبح في النفس، فإن سوء الظن بالمسلم معناه: وصف المسلم بما يسوؤه ويغمه من كل قبيح من غير دليل ولا برهان[4]. أو هو ترجيح ما يخطر في النفس من احتمال السوء، وهو يبدأ بخاطرة تنقدح في ذهن الشخص، ثم ما يزال الشيطان ينفخ فيها حتى تسيطر عليه، ثم ينزلها منزلة الحقيقة التي لا مراء فيها ولا جدال.[5]

قال سبحانه وتعالى محذراً من سوء الظن بالمسلمين: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ

1. الرملي: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، 2 /439، وحاشية الرملي على أسنى المطالب: 1 /296، الزمخشري: الكشاف من حقائق غوامض التنزيل، 4 /371، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ
2. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.
3. العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، 13 /177، دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ
4. السيد محمد نوح:آفات على الطريق، 226، دار الوفاء، جمهورية مصر العربية، ط1، 1433هـ - 2012م.
5. أحمد بن عبد الرحمن الصويان: نحو منهج شرعي في تلقي الأخبار وروايتها، 57، دار السليم للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1421هـ - 2000م.

يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}(الحجرات: 12)، وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا"[1]، قال القرطبي في تفسير الآية: "قال علماؤنا: فالظن هنا وفي الآية هو التهمة. ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها، كمن يُتهم بالفاحشة، أو بشرب الخمر مثلاً، ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك. ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله تعالى: "ولا تجسسوا" وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء، ويريد أن يتجسس خبر ذلك، ويبحث عنه، ثم قال: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث".[2]

والحديث المذكور يحذر من الظن باعتباره من التهمة بالباطل والكذب، والمقصود من ذلك كما قال النووي والخطابي تحقق الظن وتصديقه، دون ما يهجس في النفس، فإن ذلك لا يُملك، والمراد من الظن المحرم استمرار صاحبه عليه واستقراره في قلبه دون ما يعرض في النفس من الخواطر، فإن الله قد تجاوز عنها ما لم تتحول إلى كلام أو تعمد.[3]

ومما يؤكد ذلك قول ابن القيم: "مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر

1. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها.
2. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 16 /331 – 332، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964م.
3. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 16 /119.

والأفكار، فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر، وفسادها بفسادها".[1]

ومعنى ذلك أن المسلم الذي يحسن الظن بإخوانه، ويلتمس لهم الأعذار ويشفق عليهم، محبة لهم ورجاءً لخيرهم ورحمة بهم فيزداد إيماناً وسكينة وطمأنينة، خلافاً لمن ملأت قلبه الأثرة والأنانية وحب الذات والحسد، فتزداد الشكوك والنفس تحدث، فتتحقق "إمارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان ينفر عنه نفوراً ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاغتنام بسببه، فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه".[2]

ولسوء الظن بالمسلمين مظاهر أبرزها الولوج في السيئات والمعاصي، والتقصير في أعمال البر، ومن أهم أسباب حصول سوء الظن سوء النية والانشغال بالحكم على الأشخاص وعدم معرفة المنهج الشرعي الصحيح في ذلك من النظر إلى الظاهر وترك السرائر إلى الله تعالى، واتباع الهوى والوقوع في الشبهات، والوقوف عند مواطن التهم، وعدم مراعاة آداب الإسلام في التناجي وسوء الفهم.

وعلاج سوء الظن يحصل بحسن الظن بالمسلمين وهو مطلوب شرعي ومندوب إليه[3]، والحفاظ على أعراض المسلمين من الخوض فيها، وحفظ الأعراض مقصد ضروري من مقاصد الشريعة الإسلامية، مع ضرورة التماس الأعذار للآخرين وعدم الفرح بعثراتهم.

1. ابن القيم: الفوائد، 173، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1393هـ - 1973م.
2. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 3 /151، دار المعرفة، بيروت.
3. الجصاص: أحكام القرآن، 3 /540، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1415هـ - 1994م.

فالظن بالمسلم على ثلاثة أحكام، سوء الظن، وهو محرم محظور، وحسن الظن وهو مندوب إليه، وترك الظن سيئه وحسنه، وذلك احتمال أن لا يظن المسلم بأخيه لا خيراً ولا شراً، ولا سوءاً ولا حُسناً، وهو أمر مباح.

وقد وردت عبارات عن العرب تدعو إلى سوء الظن نحو: سوء الظن من الفطنة، وقولهم: احترسوا من الناس بسوء الظن، وبعضها يروى عن الصحابة نحو ما ورد عن علي، رضي الله عنه، من قوله: الحزم سوء الظن.[1]

وعن ابن عباس مرفوعاً: من حسن ظنه في الناس كثرت ندامته، ولا يصح. وقد حمل العلماء هذه الأقوال على الظن بأهل الشر والفجور[2]، ولم يثبت في التحذير من حسن الظن حديث صحيح.

ومن اشتهر من المسلمين بمخالطة الرّيب والمجاهرة بالخبائث، فلا يحرم سوء الظن به، بل هو من الظن المباح، وهو خارج عن الغيبة المحرمة، لإظهاره الفسق، وقد ورد عن الحسن: كنا في زمان الظن بالناس حرام، وإنا اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت.[3]

ظنون محظورة، وأخرى مباحة، في العبادات ونحوها:

في غير أمور متعلقة بالظن بالله وبالمسلمين، هناك أمور يجري فيها الظن في العبادات وتقديرالعقوبات التي لم يرد فيها تقدير شرعي ونحوها.

وكل ظن فيما له سبيل إلى معرفته مما تعبد بعلمه محظور؛ لأنه لما كان متعبداً

1. المغربي: البدر التمام في شرح بلوغ المرام، 10 /282، المحقق: علي بن عبد الله الزبن، دار هجر، ط1، 1428هـ - 2007م، قال المؤلف: وكل طرقه ضعيفة ويتقوى بعضها ببعض.
2. المغربي: البدر التمام في شرح بلوغ المرام، 10 /282.
3. الرملي: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، 2 /439، وحاشية الرملي على أسنى المطالب، 1 /296، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 4 /372.

بعلمه ونصب له الدليل عليه، فلم يتبع الدليل، واكتفى بالظن كان تاركاً للمأمور به، وهو أمر محظور، وأما ما لم ينصب له عليه دليل يوصله إلى العلم، وقد تعبد بتنفيذ الحكم فيه بالاقتصار على غالب الظن وإجراء الحكم عليه واجب، مثل ما تعبدنا لله به من تحري القبلة.

وأما الظن المباح من ذلك، فهو يشتمل ما يحصل بخبر الواحد في الأحكام، ومنه ما لو شك المسلم في صلاته، فإنه مأمور بالتحري والعمل على ما يغلب في ظنه، فإن عمل بما يغلب عليه ظنه كان مباحاً، وإن عدل إلى البقاء على اليقين كان جائزاً، ومن الظن المباح قبول شهادة العدول وتقويم المستهلكات وأروش الجنايات التي لم يرد في تقديرها توقيف من الشرع،وما كان من نظائرها قد تعبدنابتنفيذ أحكام غالب الظن.(*)

وهذا باب واسع يشمل كثيراً من القواعد الفقهية والأحكام الشرعية التي لا يتسع المقام ولا المقال للتوسع فيها وذكر تفاصيلها.

وبعد، فهذا ما يسّر الله من بيان مفردة الظن، وبعض ما جاء من أقوال المفسرين والعلماء والفقهاء في أحكامها والمسموح منها، والممنوع بحسب أحكام الشرع ومقاصد الشريعة.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

* الجصاص: أحكام القرآن، 3 /540، الرملي: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، 2/939، حاشية الرملي على أسنى المطالب، 1/296، ابن العربي، أحكام القرآن، 4 /157، راج أصوله وخرّج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، 1424هـ - 2003م.

مسؤولية الكلمة في ضوء الشريعة الإسلامية

أ.د جمال أحمد زيد الكيلاني / عميد كلية الشريعة / جامعة النجاح الوطنية
عضو مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين

الكلمة من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، فهي وسيلة التعبير والتفاهم، وبها تُبنى القيم والمجتمعات، وبها قد تُهدم، وتُثار الفتن. لذلك جاءت الشريعة الإسلامية لتؤكد على أن الكلمة ليست مجرد صوت يخرج من الفم، بل هي أمانة ومسؤولية يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة. قال تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (ق: 18)

مسؤولية الكلمة عند أهل الشريعة:

المسؤولية في اللغة مأخوذة من «السؤال»، أي أن يُسأل الإنسان عمّا فعل. وفي الاصطلاح الشرعي: التزام المكلف بما صدر عنه من قول أو فعل، ومحاسبته عليه أمام الله تعالى.فإن كان خيراً جوزي به، وإن كان شراً عوقب عليه، مصداقاً لقوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (الزلزلة: 7 – 8)، وقد قرر علماء الشريعة أن الإنسان محاسب على أقواله كما هو محاسب على أفعاله؛ لأن القول قد يترتب عليه من المفاسد ما هو أعظم من الفعل نفسه، قال النبي ﷺ: (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ

العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)[*].

فالكلمة قد تكون طريقاً إلى الجنة، وقد تكون سبباً في دخول النار، والفيصل في ذلك نية القائل ومضمون الكلمة وأثرها.

خطورة الاستهانة بالكلمة:

الكلمة ليست شيئاً عابراً يخرج من الفم وينتهي أثره، بل هي أمانة ومسؤولية تُسجَّل وتُحاسب عليها النفس، كثير من الناس يظنون أن الكلام لا قيمة له ما دام لا يُتبع بفعل، فيُطلقون ألسنتهم دون تفكير في عواقبه، وهذا من أخطر الأخطاء، لأن الكلمة قد تؤدي إلى خير عظيم، أو شر مستطير، فهي تُكتب وتسجل ويحاسب عليهاقائلها صغيرة كانت أم كبيرة، حقًّا كانت أم باطلاً،وقد ترفع صاحبها درجات أو تهوي به في الدركات، فرب كلمة تخرج على سبيل المزاح، أو الغفلة، تكون سببًا في سخط الله وعذابه. أو كلمة طيبة يقولها مخلصاً لله قد تكون سبباً في رفعته ونجاته.

• **الكلمة قد تقتل معنوياً أو تُحيي روحاً**: فكم من كلمة قاسية أو مهينة دمّرت نفساً بريئة، وكم من كلمة مشجعة أحيت الأمل في قلبٍ يائس. فهي سلاح ذو حدين، قد يكون تأثيرها النفسي والمعنوي أشد من السيف. ففي زماننا أصبحت الكلمة تُنشر بسرعة البرق عبر الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، وأحيانًا يكتب الإنسان تغريدة أو تعليقاً دون تفكير، فتنتشر، وتُحدث فتنة أو إساءة أو ضرراً بالآخرين. فمن يستهين بكلمته المكتوبة أو المنطوقة، كمن يُلقي حجرًا في بحرٍ لا يدري كم دائرة سيثيرها. ولهذا يجب أن يُدرك كل كاتب ومتحدث أنّ الكلمة أمانة، وأنه مسؤول عنها أمام الله وأمام الناس.

* صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان.

• **الكلمة الصادقة تحي أمة،وتُغير مصيرها**،والفاسدة قد تُسقطها، فكلمة مسؤول أو عالم أو مفكر قد تُوحّد الصفوف أو تُشعل فتنة، أو قد تُرشد الناس أو تُضللهم. لهذا قال بعض الحكماء: "احفظ لسانك تسلم، فإن اللسان سريع الهلاك بطيء الإصلاح"

• **سلامة المسلم في حفظ لسانه**: المؤمن الحق يعلم أن الكلمة إذا خرجت لا تعود، وأنها إمّا تشهد له أو عليه. قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل، رضي الله عنه، عندما سأله عن النجاة: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» وأشار إلى لسانه، فقال معاذ: وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»(*) فالكلمة ليست مجرد حروف، بل زرعٌ في القلب وثمرٌ في الدنيا والآخرة، ومن لم يضبط لسانه فلن ينجو من عواقبه.

إن مراعاة الكلمة من أعظم مظاهر التقوى والوعي، بها تُبنى القلوب وتُصلح النفوس، فوجب على المسلم أن يتأنى في كلامه، وينظر فيه قبل أن ينطق، ويتذكر أن كلماته تُعبّر عن إيمانه وأخلاقه ومسؤوليته أمام الله. قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} (الأحزاب: 70).

أهمية الكلمة في حياة الأفراد والمجتمعات:

الكلمة هي المرآة التي تعكس ما بداخل قائلها من أفكار ومشاعر، وهي وسيلة التواصل والتأثير، وبها تُبنى الحضارات وتُرسم مسارات الأمم.

وقد أولى الإسلام للكلمة عناية بالغة، فجعلها مسؤولية عظيمة، وربطها بالإيمان والعمل الصالح، هي وسيلة للتعبير عن الحق وإقامة العدل ونصرة المظلوم، وهي

* سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

من أعظم صور الجهاد، قال النبي ﷺ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ»[1]، فمن يتكلم بالحق، ولو كلّفه ذلك موقفاً صعباً، فإنما يؤدي واجباً شرعياً يعلي به كلمة الله في الأرض.

فالكلمة هي أساس الدعوة إلى الله، والإصلاح الاجتماعي، والسبيل إلى هداية القلوب، وإصلاح النفوس. قال الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} (النحل: 125)، فالداعية والمربي والإمام والمعلم، كلهم يستخدمون الكلمة أداةً لتبليغ الحق، وتربيةالجيل على القيم والمبادئ، والكلمة الصادقة إذا خرجت من القلب بلغت القلوب، وأحدثت تأثرًا عميقًا في الناس.

وهي أداة البناء للعلاقات الإنسانية، ومفتاح التواصل، بها تتطور روابط المودة وتُحلّ الخلافات وتُبنى جسور الثقة. قال تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}(البقرة: 83).

إن الكلمة الطيبة تُزيل التوتر، وتُدخل السرور إلى القلوب، والكلمة السيئة قد تُدمّر علاقة سنين. لذلك كانت الكلمة الطيبة صدقة، كما قال النبيﷺ: «وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»[2].

والكلمة وسيلة لنشر العلم والثقافة، فالعلماء والمفكرون والأدباء يستخدمونها لبناء الوعي وتنوير العقول وإشاعة الخير المتعارف بين الشعوب.

أثر الكلمة الطيبة في الفرد والمجتمع:

الكلمة الطيبة هي الصادقة والمطابقة للحقيقة دون تزوير أو تزييف أو مبالغة. وهي من أعظم القيم الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام؛ لأنها أساس بناء الثقة بين الناس،

1. سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، وصححه الألباني.
2. صحيح البخاري، كتاب الجهاد، والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه.

وميزان العدل في المجتمع، فالصدق ليس مجرد قول الحق، بل هو سلوك يعكس صفاء القلب واستقامة الضمير، ويدل على نقاء الإيمان. قال الله تعالى :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (التوبة: 119).

فالصدق من أعظم الأخلاق التي حثّ عليها الشرع، وجعل منزلته عالية بين صفات المؤمنين. قال تعالى في وصف عباده الصالحين: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ}(الحديد: 19)، والنبي ﷺ كان يُلقّب قبل البعثة بـ الصادق الأمين، لما عُرف به من صدق القول والعمل. وقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(*)

والصدق في الكلمة يتجلى في جوانب عدّة، منها: الصدق في الحديث، والصدق في الوعد فلا يخلف ولا يخدع غيره.والصدق في الشهادة،بأن يشهد بما رأى وسمع حقاً دون مجاملة أو خوف؛ لأن كتمان الحق ظلمٌ وعدوان. والصدق في النية والمقصد، فالمؤمن الصادق لا يتكلم رياءً أو نفاقًا، بل يبتغي بحديثه وجه الله تعالى.

وهذا مما يبعث الطمأنينة في النفس وراحة الضمير، ويُكسب صاحبه احترام الناس،وثقتهم ويرفع منزلته عند الله: فالله يحب الصادقين، ويجعلهم من عباده المقرّبين.

وأما كذب الحديث وسوء الكلم وخبثه، فيُغضب الله تعالى، ويُؤذي الناس، ويُشيع

* صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

الباطل والفساد، والغيبة، والنميمة، والسبّ، والاستهزاء، ونشر الفاحشة بين الناس حتى رتب عليها الشارع حداً شرعياً كحد القذف.

فالكلمة الخبيثة تُشبه الشجرة الخبيثة التي لا جذور لها ولا ثبات، سرعان ما تذبل وتموت، فلا تُنتج إلا أذى.

فتُفسد العلاقات، وتزرع الحقد والبغضاء، وتُؤذي الناس، وتجرح مشاعرهم. وتُشيع الفتن في المجتمع، وتُطفئ نور الإيمان في القلب، وتُورث قسوةً وظلمة، وتكون سبباً لعذاب الله يوم القيامة.

إن الكلمة ليست مجرد حروفٍ تُقال، بل هي قوة قادرة على البناء أو الهدم، والإنسان العاقل هو من يزن كلماته قبل أن ينطق بها، فيجعلها وسيلة للخير لا للشر، وللإصلاح لا للإفساد.

خاتمة:

جملة القول مما سبق أن الكلمة في الإسلام ليست أمراً هيّناً، بل هي أمانة ومسؤولية يُحاسب الإنسان عليها. فقد تكون صدقة، أو تكون معصية، وهي مقياس لمدى تقوى الإنسان ووعيه، وسبب لسعادته أو شقاوته فالصالح فيها يرفع والخبيث فيها يخفض.

لذلك، فهي تفرض على المسلم أن يزن كلامه قبل أن ينطق به، وأن يتثبت قبل أن ينشر أو يقول، خاصة في هذا العصر الذي أصبحت فيه الكلمة تنتشر بسرعة هائلة عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي.ومن أعظم ما يوجّه المسلم في هذا الباب قول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(*).

* صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان.

فليجعل كل إنسانٍ من كلماته جسرًا إلى الجنة لا سبيلًا إلى النار، ولْيتذكّر أن الكلمة قد تُكتب عند الله في صحيفة عمله، فإما أن ترفع مقامه أو تهوي به في دركات العذاب.إن الكلمة الطيبة صدقة، والكلمة الصادقة أمانة، والكلمة الخبيثة خطيئة، فليحرص المؤمن أن تكون أقواله دائمًا طيبة نابعة من قلبٍ نقيٍّ ولسانٍ صادق، ليحيا سعيداً ويموت محموداً،قال تعالى: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...} (فاطر: 10).

والحمد لله رب العالمين

المراجع

1. القرآن الكريم.

2. صحيح البخاري وصحيح مسلم.

3. ابن القيم، مدارج السالكين.

4. الغزالي، إحياء علوم الدين.

5. يوسف القرضاوي، مسؤولية الكلمة في الإسلام.

6. متفق عليه

الرصيد الإيماني...
حين ينفعك ما قدّمت

أ. مهدي اسليم / باحث شرعي - دائرة الإفتاء / محافظة طوباس

من السنن الربانية الجارية في حياة العباد أن أعمالهم لا تذهب سدى، بل تُدَّخر لهم عند الله، وتظهر آثارها في أوقات الحاجة والشدّة. وهذا ما يمكن تسميته بـ الرصيد الإيماني؛ وهو مجموع ما يقدّمه العبد من طاعات وقُرُبات، وخبايا صالحة، وصدق مع الله تعالى.

وهذا الرصيد لا يُقاس بالموازين الدنيوية، ولا يظهر في لحظات الرخاء غالبًا، لكنه يتجلّى أثره عند الكرب، وعند الزلل، وفي مواطن الافتقار إلى رحمة الله، فالإنسان قد يضعف، وقد يخطئ، وقد يمر بظروف صعبة، لكن إن كان له رصيد سابق من الطاعة والصدق مع الله فإن الله يرفق به، ويجبره، ويخرجه من الضيق، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ... ﴾(الطلاق:2 - 3)

قال تعالى:﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: 90)

وقال سبحانه:﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7)

أي أن كل طاعة، وكل دمعة، وكل صدقة، وكل سجدة، هي شيء محفوظ في ميزان الله، قال عبد الله بن عباس: إنّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في

الرزق، وقوةً في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق. وإنّ للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق)[1] ، وقال ابن القيم: (وَآثَارُ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ وَالْأَمْوَالِ أَمْرٌ مَشْهُودٌ فِي الْعَالَمِ، لَا يُنْكِرُهُ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ، بَلْ يَعْرِفُهُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ)[2].

الرصيد الإيماني وأثره في رفع آثار الزلل:

الإنسان ليس معصومًا، لكن الفارق بين الناس هو ما يسبق الزلة من تاريخ مع الله، فالمؤمن الذي له رصيد من الطاعة يُرجى له من لطف الله ما لا يُرجى لغيره، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما وقع للصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، حين"كتب كتابا إلى قريش، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به، وأتى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام فقال: "أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش، يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم " فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بني أبي أحمد، فاستنزلاها، فالتمساه في رحلها فلم يجدا فيه شيئا، فقال لها علي: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك. فلما رأت الجد منه قالت: أعرض. فأعرض، فحلت قرون رأسها

1. كتاب الداء والدواء لابن القيم (135).
2. مدارج السالكين لابن القيم (1/424).

فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حاطباً فقال: "يا حاطب ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكنني كنت امرء ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فلأضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم "وأنزل الله تعالى فيه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ...}(الممتحنة :1)(*).

فكان شهوده غزوة بدر رصيدًا إيمانيًا عظيمًا شفع له عند الله، فنظر النبي، ﷺ، إلى تاريخه مع الله، لا إلى خطئه فقط، وهنا نتعلم قاعدة مهمة:لا تجعل حياتك مع الله موسمية... بل اصنع تاريخًا من الطاعة مع الله سبحانه وتعالى.

الأعمال العظيمة تبني رصيداً كبيراً عند الله:

من رحمة الله بعباده أن جعل للأعمال مراتب، وفضّل بعضها على بعض، وجعل لبعض الطاعات أثرًا عظيمًا يتجاوز زمانها ومكانها، فيبقى مدّخرًا لصاحبها في الدنيا والآخرة، وهذا هوالرصيد الإيماني، الذي يتكوّن من الأعمال الصالحة، ويتفاوت بقدر عظمها وإخلاصها، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة: 261)

* البداية والنهاية لابن كثير (6/521).

وقال سبحانه:﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾(الأنعام: 160)

والأعمال الصالحة تتفاوت، وبعضها يكون له أثر عظيم في ميزان العبد، فليست كل الأعمال سواء، بل هناك أعمال تُبنى بها منازل عالية، وتُدّخر بها أجور عظيمة، فمن ذلك ما فعله الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، حين جهّز جيش المسلمين في غزوة تبوك، في وقتٍ اشتدّت فيه الحاجة، حتى أكْبر النبي، صلى الله عليه وسلم، ما فعل عثمان، رضي الله عنه، فقال: (مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ)[1] .

وكذلك قول النبي،ﷺ، في حق أبي بكر الصديق، رضي الله عنه:حين قال، ﷺ: (مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ، مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ)[2] .

وهذا الحديث لا يمدح عطاءً عابرًا... بل يكشف عن قلبٍ بذل كل شيء لله دون حساب، لقد كان عطاء أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، عطاءَ روحٍ قبل أن يكون عطاءَ مال، وحين يصبح الإخلاص بهذا العمق... يعجز البشر عن المكافأة، ويتولّى الله الجزاء، هكذا تُصنع الخُلّة... قربٌ صادقٌ من الله، ووفاءٌ لا يتكرر في حياة البشر.

الرصيد الإيماني سبب للنجاة عند الكرب:

إن ما يدّخره العبد من طاعاتٍ وإخلاصٍ وصدقٍ مع الله، هو زادٌ حقيقي يظهر أثره عند الشدائد والكروب، وقد قرّر القرآن أن العمل الصالح لا يضيع، بل يكون سببًا

1. سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب منه، وحسنه الألباني.
2. سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب منه، وصححه الألباني.

للفرج، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2].

ومن أعظم الأدلة على ذلك حديث الثلاثة الذين آواهم الغار، فانطبقت عليهم الصخرة، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، ففرّج الله عنهم .فعن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (بَيْنَمَا ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الجَبَلِ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً، فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ نَاءَ بِيَ الشَّجَرُ، فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالحِلاَبِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ. فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَلَقِيتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، وَلاَ تَفْتَحِ الخَاتَمَ، فَقُمْتُ عَنْهَا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا. فَفَرَجَ لَهُمْ فُرْجَةً.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَظْلِمْنِي وَأَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَهْزَأْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَهْزَأُ بِكَ، فَخُذْ ذَلِكَ البَقَرَ وَرَاعِيَهَا، فَأَخَذَهُ فَانْطَلَقَ بِهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللَّهُ عَنْهُمْ)[1]

وهذا يدل على أن الطاعات السابقة تكون سببًا مباشرًا في النجاة عند الأزمات، كما أن الإيمان الصادق يربط القلب بالله، فيورث الطمأنينة والثبات عند نزول البلاء.قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].

وقد بيّن النبي،ﷺ، أن حفظ العبد لحدود الله سبب لحفظ الله له، فقال: (احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ)[2] ، فمن كانت له مع الله طاعة في الرخاء، كان له معه لطفٌ في الشدة، ولذلك كان السلف يحرصون على خبايا الأعمال؛ لأنها أعظم ما يُدَّخر لوقت الكرب، فالرصيد الإيماني ليس مفهومًا نظريًا، بل هو سبب حقيقي للنجاة، ورحمةٌ يفتح الله بها أبواب الفرج لعباده الصادقين.

والتوسل إلى الله بصالح الأعمال أمر مشروع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: "أما التوسل والتوجه إلى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر بها، كدعاء الثلاثة الذين آووا إلى الغار بأعمالهم الصالحة، وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم، فهذا

1. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إجابة دعاء من بر والديه.
2. سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب منه، وصححه الألباني.

مما لا نزاع فيه، بل هذا من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)(المائدة:35)، وقوله سبحانه (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)(الإسراء:57)[1]

الرصيد الإيماني سبب في حفظ الله للعبد وذريته:

الرصيد الإيماني هو من أعظم أسباب حفظ الله لعبده في نفسه وأهله وذريته، وقد دلّ القرآن على هذا المعنى في قصة الغلامين في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: 82]، فكان صلاح الأب سببًا في حفظ مال ولديه.

قال عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما: "حُفظا بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح[2]. وفيه دليل على امتداد أثر الصلاح إلى الأبناء، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(الحج: 38)، فالإيمان سبب للحفظ والدفع عن العبد، وفي السنة قال النبي،ﷺ: (احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ)[3] ، أي احفظ أوامر الله وحدوده يحفظك في دينك ودنياك.

قال ابن رجب الحنبلي: "ومَنْ حفظ الله في صباه وقوّته، حفظه الله في حال كبَره وضعفِ قوّته، ومتَّعه بسمعه وبصره وحوله وقوَّته وعقله، وكان بعض العلماء قد جاوز المئة سنة وهو ممتَّعٌ بقوَّتِه وعقله، فوثب يومًا وثبةً شديدةً، فعُوتِبَ في ذلك،

1. اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية (2/ 312).
2. تفسير الطبري (302).
3. سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب منه، وصححه الألباني.

فقال:هذه جوارحُ حفظناها عَنِ المعاصي في الصِّغر، فحفظها الله علينا في الكبر. وعكس هذا أن بعضَ السلف رأى شيخًا يسأل الناسَ، فقال: إن هذا ضيَّع الله في صغره، فضيَّعه الله في كبره"[1] .

كما أن التقوى سبب لدوام البركة في البيت، وحفظه من أسباب الفساد والانحراف،والعبد إذا أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله له ما بينه وبين خلقه، وبارك له في ذريته، ولذلك كان السلف يجتهدون في الطاعة لا لأنفسهم فقط، بل رجاء أن يحفظ الله أبناءهم من بعدهم، فالرصيد الإيماني ليس أثره فرديًا، بل هو حصنٌ ممتدّ يحفظ الله به العبد وأهله، ويجعل بركة الصلاح جاريةً في نسله، قال سعيدُ بن المسيب لابنه: "لأزيدنَّ في صلاتي مِنْ أجلِك، رجاءَ أنْ أُحْفَظَ فيكَ، ثم تلا هذه الآية:(وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا)[2]، وقال عُمرُ بن عبد العزيز: "ما من مؤمن يموتُ إلَّا حفظه الله في عقبه وعقبِ عقبِه"[3].وهذا يدل على أن الرصيد الإيماني لا يقتصر أثره في صاحبه، بل يمتد إلى أهله وذريته.

الرصيد الإيماني وعلاقته باستجابة الدعاء:

الرصيد الإيماني من أعظم أسباب قبول الدعاء واستجابته، وقد وعد الله بالإجابة فقال:﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(غافر:60)، غير أن هذه الإجابة مرتبطة بحال العبد مع ربّه، فكلما كان القلب عامرًا بالإيمان، كان الدعاء أصدق وأقرب للقبول، وقد بيّن النبي،ﷺ، هذا المعنى في حديث أبي هريرة، رضي الله عنه: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ

1. كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (1 /466).
2. الزهد لابن المبارك (332).
3. تفسير الطبري (16/ 7)

طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[المؤمنون: 51]، وَقَالَ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[البقرة: 172]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ؟!)(*). فدلّ الحديث على أن الطاعة وبُعد العبد عن الحرام يُكوّنان رصيدًا يُرجى معه قبول الدعاء.

والإخلاص من أعظم ما يقوّي هذا الرصيد، فالدعاء الصادر من قلب صادق أقرب إلى القبول، وكذلك كثرة الذكر والاستغفار تهيّئ القلب للإنابة، وتفتح أبواب الإجابة، فالرصيد الإيماني هو البيئة التي ينمو فيها الدعاء ويُستجاب، ومن أصلح باطنه مع الله، فتح الله له أبواب القبول والفضل.

الرصيد الإيماني وتثبيت القلب عند المصائب:

الرصيد الإيماني هو الزاد الباطن الذي يُعدّه العبد من طاعةٍ وذكرٍ وثقةٍ بالله، ويظهر أثره جليًا عند نزول المصائب، فالمؤمن لا يواجه البلاء مجردًا، بل يواجهه بقلبٍ ممتلئ باليقين، ما يمنحه ثباتًا لا يملكه غيره، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (إبراهيم: 27)، فجعل التثبيت ثمرةً للإيمان.

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: 28)، فدلّ على أن الطمأنينة نتيجة مباشرة للصلة بالله.

وقد أرشد النبي، ﷺ، إلى هذا المعنى بقوله: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،

* صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[1] .فمن حفظ حدود الله ثبّته عند الشدائد.

وقال ابن تيمية:"ما يفعل أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري"[2]، إشارةً إلى قوة الإيمان في مواجهة المحن.

كما أن كثرة الطاعات قبل البلاء تُنشئ في القلب مناعةً إيمانية تعينه على الصبر والرضا، والمؤمن يستحضر عند المصيبة وعد الله، فيتحول الألم إلى أمل، والضيق إلى يقين، ولهذا كان السلف يربّون أنفسهم على العبادة في الرخاء ليجدوا أثرها في الشدة، فالرصيد الإيماني هو أساس الثبات، وبه يطمئن القلب، ويثبت العبد أمام تقلبات الحياة.

خبيئة العمل الصالح... أعظم الرصيد:

خبيئة العمل الصالح هي تلك الطاعات التي يُخفيها العبد بينه وبين الله، لا يطّلع عليها أحد، وهي من أعظم ما يُدَّخر في الرصيد الإيماني، وقد دلّ الشرع على فضلها، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: 271)، وقال النبي،ﷺ: (وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ)[3] ، فالإخلاص التام هو روح هذه الخبيئة، وهو الذي يرفع قدر العمل، ويُعظّم أجره عند الله، وكان السلف يحرصون على إخفاء أعمالهم أشدّ من حرصهم على إظهارها، خوفًا من الرياء وطلبًا للإخلاص.

1. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير.
2. كتاب الوابل الصيب لابن القيم (48).
3. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب صدقة السر.

قال الإمام الشافعي- رحمه الله -: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يفتح اللَّهُ قَلْبَهُ أَوْ يُنَوِّرَهُ فَعَلَيْهِ بِتَرْكِ الْكَلَامِ فيما لا يعنيه واجتناب الْمَعَاصِي، وَيَكُونُ لَهُ خَبِيئَةٌ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَمَلٍ"[1] ، وقال الحسن البصري- رحمه الله -: "إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ جَارُهُ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ فَقِهَ الْفِقْهَ الْكَثِيرَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُصَلِّي الصَّلاةَ الطَّوِيلَةَ فِي بَيْتِهِ وَعِنْدَهُ الزُّوَّارُ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ، وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ مِنْ عَمَلٍ يَقْدُرُونَ عَلَى أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي سِرٍّ فَيَكُونَ عَلانِيَةً أَبَدًا، وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتٌ، إِنْ كَانَ إِلا هَمْسًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف: 55)، وذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ عَبْدًا صَالِحًا وَرَضِيَ قَوْلَهُ، فَقَالَ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (مريم: 3)"[2]

وهذه الخبايا هي التي تكون زادًا حقيقيًا في أوقات الكرب، فيجد العبد أثرها حين لا يشعر، وقد يكون العمل خفيًا صغيرًا في نظر الناس، لكنه عظيم عند الله لصدق النية فيه، ومن أمثلة ذلك: قيام الليل في الخفاء، وصدقة السر، والدعاء في السحر، والإحسان الذي لا يُذكر.

فمن أراد رصيدًا لا ينفد، فليجعل له خبيئة بينه وبين الله، فهي كنز النجاة، وسرّ القبول، وأعظم ما يُدَّخر ليوم الحاجة.

1. كتاب المجموع شرح المهذب للنووي (1 /12).
2. الزهد والرقائق لابن المبارك (45).

خاتمة:

يتبيّن من مجموع النصوص أن الرصيد الإيماني ليس مفهومًا معنويًا مجردًا، بل هو سنّة ربانية يظهر أثرها في حياة المؤمن؛ فيُرفع بها عند الزلل، ويُحفظ بها في الغيب، ويُستجاب له بها عند الدعاء، ويُثبّت بها عند البلاء، ولهذا كان من أعظم ما ينبغي أن يعتني به المسلم: أن يجعل له تاريخًا مع الله، تاريخًا لا ينقطع، ولا يعرف المواسم المؤقتة، بل يمتد في الخفاء قبل العلن، وفي الرخاء قبل الشدة.

فقد يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا جاه، ولا تُغني فيه الأسباب، لكن ينفع فيه عملٌ صغيرٌ أخلصت فيه لله، ودمعةٌ صدقت فيها مع ربك، وخطوةٌ سرت بها إليه لا يراك فيها أحد، فازرع لنفسك من الآن رصيدًا لا يخذلك، وابنِ بينك وبين الله صلةً لا تنقطع، واجعل لك خبيئةً من العمل الصالح، فإن أعظم النجاة تأتي من أعمالٍ لا يطّلع عليها إلا الله.

فما كان لله... بقي، وما كان معه... كفى، ومن كان له رصيدٌ عند الله، فلن يضيّعه الله أبدًا.

قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(الكهف: 49)

ليتني
سراب الأمنيات السبع

روان الشيخ / باحثة شرعية / دار الإفتاء الفلسطينية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فإن الأماني تظل رفيقة الإنسان في رحلة حياته الدنيا، يسعى خلفها مدفوعًا بأمل التحقيق والوصول، غير أن القرآن الكريم يفتح لنا نافذة غيبية تحذيرية على مشهد مغاير تمامًا؛ مشهد تتجسَّد فيه أمانٍ من نوع آخر، وُلدت في غير زمانها، وانبعثت من قلوب اعتصرها الندم يوم القيامة بعد فوات أوان العمل. إنها "الأمنيات السبع المستحيلة" التي وثّقها الوحي الإلهي، لا لمجرد سرد الحسرات، بل لترميم ما بقي من أعمارنا قبل الانتقال إلى دار الجزاء، فهناك أمنيات مستحيلة لا تستطيع أن تدركها أو تحققها لأن الوقت يكون في هذه المرحلة لا قيمة له، واليوم دعونا نستعرض سوياً الأمنيات السبع المستحيلة المذكورة في القرآن الكريم، وهي كما يأتي:

الأمنية المستحيلة الأولى: يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي

يقف الإنسان يوم القيامة موقفًا مهيبًا يملؤه الندم والحسرة على ما فرط في جنب الله، ويتجلى هذا التلهف البشري في أبلغ صورة حين يصرخ نادمًا كما أخبر تعالى:

{يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}(الفجر: 24)، وفي بيان هذه الآية، يذكر الإمام الطبري أن الله تعالى يخبر عن تندم ابن آدم على تفريطه في الأعمال الصالحة خلال حياته الدنيا، والتي كانت كفيلة بأن تورثه البقاء الأبدي في نعيم لا ينقطع؛ فهو يتمنى لو قدم من صالح الأعمال في دنياه الفانية ما ينجيه من غضب الله، ويوجب له رضوانه في حياته الحقيقية الباقية التي لا موت بعدها.[1]

هذه الحسرة تنبع من الانخداع بطبيعة الدنيا الفانية، التي وصفها الله تعالى بكشف حقيقتها قائلًا: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}(العنكبوت: 64)، ولتقريب هذا الفارق الشاسع بين الزائل والخالد، صوّر النبي، صلى الله عليه وسلم، ضآلة الدنيا بمثل بليغ يعجز البيان عن مجاراته، فقال: (وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟)[2]؛ ليتضح للمؤمن أن العاقل لا يبيع بحر الآخرة المتلاطم بالنعيم، من أجل قطرة ماء علقت بإصبع مسّت يمّ الدنيا الفاني.

هُناكُم والله الحياة الطويلة والباقية،فلا تخدعنكم الدنيا، ولا يذهلنكم التمتع بها، والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة، وطلب ما عند الله تعالى، فهذه أمنية قد فات أوانها، وانتهى إبّانها، فإن الدار دار جزاء لا دار أعمال، فلا يبقى فيها لأولئك الخاسرين إلا الحسرة والندامة.

الأمنية المستحيلة الثانية: (يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا)

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: {إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ

1.الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 24 /421.

2. صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}(النبأ: 40)

وفي تفسير هذه الآية، وتأويل تمني الكافر أن يكون تراباً، برز توجيهان للمفسرين؛ التأويل الأول: ما قاله مجاهد بأن الكافر يتمنى لو صار في ذلك اليوم تراباً فلا يُحاسب، ولا يكون مصيره إلى جنة ولا إلى نار، والتأويل الثاني أن الكافر يتمنى لو كان في الحياة الدنيا مجرد حيوان من الدواب، ثم يصير في هذا اليوم تراباً بعد القصاص بين البهائم؛ وهذه الأمنية في حقيقتها هي من الأماني الكاذبة للمفرط العاجز الذي حان هلاكه.[1]

ولا عجب أن يصدر هذا التمني من الكافر؛ فما الذي يمنعه من ذلك وقد كُشفت له عورات أعماله، وظلّله سوء صنيعه، وأقبل على رب العالمين وهو عليه غضبان؟ حينها يضطر لتمني الموت والعدم، رغبةً في التخلص من هول العقاب، في حين لم يكن في الدنيا شيء أكره إليه من الموت. وقد خصّ الله سبحانه وتعالى هذا التمني بالذكر في حق الكافر دون المؤمن؛ لأن المؤمن يُشاهد في ذلك اليوم حسناته مقبولة وسيئاته مغفورة؛ فيأمن عذاب الله ويفوز برحمته، أما الكافر، فيرى نفسه مأخوذة بجرائر السيئات، ولا يجد لنفسه حسنة واحدة مقبولة؛ فلذلك يتمنى لو استحال تراباً ليفلت من عذاب الله المقيم.[2]

إن دافع الكافر لهذا التمني هو ما يعاينه أمامه من فظاعة العذاب، وهول الخسران الذي تعرض له؛ وهو ما يمثل ذروة الندم في يوم لا ينفع فيه ندم، وإذا كان الله جل وعلا قد تحدث في سورة النبأ عن صنف الخاسرين، فقد نبّه في موضع آخر من

1. الماوردي، النكت والعيون، 1 /191.
2. الطبري، جامع البيان، 24 /181 - الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 10 /403.

القرآن الكريم على صنف أشد حسرة، وهم الأخسرون؛ حيث قال تعالى: {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}(الكهف: 104 - 105)

فهناك خاسر، وهناك من هو أخسر منه؛ والأخسر هو الذي كفر بالله جل جلاله وبيوم القيامة، واعتقد أن حياته مجرد دنيا فانية، ولم يكن الله في باله وهو يعمل أي عمل، بل كانت الدنيا وزينتها هي التي تشغله وتستغرق وقته. فإذا جاء يوم القيامة، لم يحتسب له أي حسنة؛ لأنه كان يقصد بحسناته الحياة الدنيا، فلا يوجد له رصيد ينفعه في الآخرة، لقد مضى هؤلاء في الدنيا مدفوعين بذلّ اختيارهم، وبُعثوا يوم القيامة في حسرة التمني؛ ولو أنهم رضوا بالتقدير في الدنيا، وتولّوا طاعة الله وطريق هدايته، لتخلّصوا من ذل هذا التمني في الآخرة.

الأمنية المستحيلة الثالثة: (يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ)

تُصوِّر الآيات من سورة الحاقة: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ *وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}(الحاقة: 25 - 27)، مشهدًا مهيبًا من مشاهد يوم القيامة يخص أهل الشقاء؛ حيث يُساق إلى المذنب كتابه من وراء ظهره ليأخذه بيده الشمال، وفي هذه الطريقة إمعانٌ في تحقيره وإظهارٌ للغضب الإلهي عليه، إذ يعرض عنه مناوله ولا ينظر إلى وجهه، ويُعد إيتاء الكتاب بالشمال علامة فارقة على الخسران، مما يجعل المرء يتمنى لو أنه لم يُعطَ كتابًا يحمل تفاصيل شقائه، ولم يدرِ ما حسابه لما يترتب عليه من وبال ونكال، فعندما يطالع العاصي صحيفة أعماله ويتذكر قبيح ما قدّم في دنياه، يغلبه خجلٌ شديد، وخزي عظيم،

حتى إنه ليتمنى لو عُذِّب في النار مباشرة، ولم يمر بموقف الفضيحة هذا، وفي هذا الموقف إيماءٌ بليغ يشير إلى أن العذاب الروحي والنفسي المتمثل في الخجل، والندم قد يكون أشد إيلامًا وقسوة من العذاب الجسدي.[1]

فاللهم جَمِّل صحائفنا بالطاعات، وتَوِّج سعينا بالقبول والرضوان، واجعلنا من أهل اليمين.

الأمنية المستحيلة الرابعة: (يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)

يخبرنا الله سبحانه وتعالى في سورة الفرقان عن مآل أهل الشرك والتكذيب؛ حيث قال جل وعلا: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} (الفرقان: 27)، وفي تأويل هذه الآية الكريمة بيانٌ لحال الظالم الذي أوبق نفسه بشركه وكفره وتكذيبه للرسل في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، استبدّ به الندم والأسف، وجاء يعضُّ على يديه حسرةً وحزنًا على ما فرّط في جنب الله، وما جناه على نفسه بطاعة خليله وصديقه الذي أضلّه وصدّه عن سبيل ربه وهدايته، وفي هذا الموقف العصيب، يتمنى هذا المشرك نادمًا لو أنه اتخذ مع الرسول طريقًا ومسلكًا في حياته الدنيا، وذلك عبر الإيمان به، وتصديق دعوته، واتباع منهجه، ليكون له ذلك السبيل منجاةً من عذاب الله ونكاله. فالآية الكريمة تُبين أسف الظالم الذي حاد عن الحق المبين الصادق الذي لا مرية فيه، ونبذ ما جاء به الرسول، ﷺ، من عند الله، سالكًا طرقًا أخرى غير سبيل الهدى، ليعضه الندم في يومٍ لا ينفع فيه ندمٌ، وتتملكه حسرةٌ بالغة لا مغيث منها[2].

1. الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 10 /183، الشوكاني، فتح القدير، 5 /340، تفسير المراغي، 39 /59.
2. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 17 /439، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 10 /302.

إنّ أشد ما تبكي عليه العيون غداً، هو الالتفات إلى عمرٍ ضاع خلف السراب، وحسرةٍ تتقطع عليها الأيدي حين يرى العبد طريق الرسول ﷺ ممتدًا أمام الخلائق، وقد حاد هو عنه في أزقة الهوى وغفلة الأصحاب، فلزوم هدي النبوة دعوةٌ لترميم ما بقي من العمر؛ فاجعله دليلك في عتمة الدنيا، لتكون ممن سار مع الرسول سبيلاً، واقتفى أثره حتى يَرِد حوضه الشريف، مستبشرًا بنظرة رضا لا شقاء بعدها أبدًا.

الأمنية الخامسة المستحيلة: (يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا)

تَعرض الآية الكريمة من سورة الأحزاب: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا}(الأحزاب: 66)،عاقبة أهل الكفران والشرك ومآلهم المهين، في يومٍ عصيبٍ يفتقدون فيه الصاحب والناصر، فلا يجدون لهم من دون الله وليًّا يتولى أمرهم، ولا نصيرًا يدفع عنهم سوء العذاب.

ويفصّل النص القرآني الهيئة الفظيعة التي تتقلب عليها أحوالهم في ذلك العذاب الشديد؛ إذ يُسحب هؤلاء الكافرون في النار على وجوههم، وتُلوى وجوههم في جهنم وتنكفئ فيها حالًا بعد حال، وتتقلب من جهة إلى أخرى كما يُقلّب اللَّحم ويُشوى فوق لهب النار. وفي خضم هذا النكال البالغ والشدة الإلهية، تنبعث من صدورهم أمنية متأخرة تفيض بالحسرة والندامة، فيقولون ويتمنون وهم على تلك الحال المنكرة البئيسة: يا ليتنا كنا في دار الدنيا ممن امتثل لأوامر الله واجتنب نواهيه، وأطاع الرسول، ﷺ، فيما بلّغنا به عن ربه من الوحي والموعظة وآمن بدعوته وسار على نهجه؛ ليكون لنا في تلك الطاعة والإيمان عصمةٌ ونجاةٌ من هذا النكال والخلود في الجحيم، ولنلحق بأهل الجنة في درجات النعيم، كما نجا المؤمنون الذين صدقوا

ما عاهدوا الله عليه. إنها حسرةٌ بالغة السوء، وجليلة الأثر، تتقطع عليها أنفسهم ندماً في وقتٍ انقطع فيه العمل، وفاتت فيه فرص النجاة[1].

يا لها من حسرةٍ تتقطّع عليها القلوب غداً، حين يتقلب المُفرّط في ندمه متمنياً طاعةً فرّط فيها في دنياه؛ فاللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وأجِر وجوهنا من النار، واجعلنا من الفائزين بجنتك.

الأمنية السادسة المستحيلة: (يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا)

تُصوِّر الآيتان الكريمتان من سورة الفرقان: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا}(الفرقان: 27 - 28)، ذروة الندم والحسرة التي تصيب الإنسان يوم القيامة بسبب سوء اختيار الصاحب؛ حيث يصرخ نادمًا على اتخاذه ذلك الصديق خليلًا وحبيبًا في الدنيا، سواء أكان من شياطين الإنس أم الجن، فهذا الخليل هو الذي صرفه عن طريق الهدى، وعدل به إلى دروب الضلال، وأبعده عن الإيمان والقرآن وذكر الله بعد أن بلغه الحق واستبان له، فكانت عاقبة هذا الاتباع الأعمى هلاكًا وخسرانًا مبينًا[2].

وفي هذه الأمنية المتأخرة إعلامٌ بواقع هؤلاء الأخلاء وما كانت تنطوي عليه صحبتهم في الدنيا من تآمرٍ، وإغراءٍ لبعضهم بعضًا على مناواة الإسلام ومحاربته، ليتبرأ كل منهما من صاحبه حين لا ينفع الندم.[3]

إنّ اختيار الصاحب في الدنيا هو الذي يحدد مسارك في الآخرة؛ فمن اتخذ الأخيار

1. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 19 /188ـ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6 /483.
2. الزحيلي، التفسير المنير، 19 /53.
3. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5 /591.

خلانًا، قادوه إلى سبيل الرسول ﷺ والنجاة، ومن استسلم لخلان الغواية، تقطعت به الأسباب وعضّ على يديه حسرةً يوم القيامة يصرخ: {يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا }.. فاجعل خليلك من يربط على قلبك لتسير مع الرسول سبيلاً، وتفوز بمرافقته في جنات النعيم.

الأمنية السابعة: ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيمًا

يكشف النص القرآني في سورة النساء: {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا}(النساء: 73) طبيعة النفس النفعية لضعفاء الإيمان والمنافقين الذين يتخلفون ويبطِّئون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله، ﷺ، فإذا مَنَّ الله على المؤمنين بالنصر والظفر، ونالوا من عدوهم غنائم وفضلًا، يخرج هذا المتخلف متأسفًا، متمنيًا لو أنه كان حاضرًا معهم لكي ينال نصيبًا من الغنيمة وحطام الدنيا، واصفًا ذلك الحظ الدنيوي بأنه "فوزٌ عظيم". وهذه الحال تكشف زيف ادعاءاتهم؛ فهم يظهرون الشماتة إذا أصاب المؤمنين ضرر، ويحسدونهم إذا نالوا نفعًا، لعدم رجائهم ثواب الآخرة وخوفهم من عقابها[1].

ونبهت الآية {كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} على ضعف عقيدتهم وسوء سريرتهم؛ فقولهم هذا يشبه كلام الغرباء الذين لا تربطهم بالمؤمنين أي صلة أو مواصلة دينية، وما ذكرت المودة في الآية إلا على سبيل التهكم بهم، لئلا يُظن أن تمنّي هذا المنافق كان من أجل نصرة الدين والمؤازرة، بل كان دافعه المحرّك هو الحرص الشديد على مغانم الدنيا الفانية.[2]

1. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 8 /540، مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، 2 /1386.
2. تفسير الراغب الأصفهاني، 3 /1312، الألوسي، روح المعاني، 3 /78.

فما أتعسها من نفسٍ تخلفت عن ركب الصالحين زهدًا في الأجر، ثم تباكت على فوات حطام الدنيا، وجعلته فوزها العظيم؛ فاللهم طهِّر قلوبنا من النفاق، واجعل رغبتنا وفوزنا في رضاك والدار الآخرة.

خاتمة:

يتجلى لنا أن استعراض هذه الأمنيات السبع ليس مجرد استذكارٍ لندم الغابرين والمفرطين، بل هو طوق نجاة، ورحمة إلهية مُهداة إلينا ما دامت الأنفاس تتردد في صدورنا، إننا اليوم نملك أثمن ما افتقده أصحاب تلك الصرخات، وهو "الوقت" وفرصة العمل؛ فالسعيد من وعظه القرآن بغيره، فحاسب نفسه قبل أن تُحاسب، واستدرك أيامه بطاعة الله ورسوله، ليمضي إلى لقاء ربه آمنًا مطمئنًا، غنيًا عن ذلّ التمني والحسرة.

من مفاتيح الرزق

أ. كمال بواطنة

شيئان يشغلان ابن آدم كثيراً:

لعلّ أمريَّ (الأجل والرزق) من أكثر ما يشغل فكر ابن آدم، ولكنّ الله سبحانه حسم هذين الأمرين، فجعلهما في يده، فالأجل محدود، لا يزيد ساعة، ولا ينقص ساعة {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}(الأعراف:34)، والرزق كذلك بيد الله وحده {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}(الإسراء:30)، {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ} (الذاريات:22 - 23)، وعلى هذا فإنّ نفساً لن تموت حتّى تستوفي رزقها وأجلها، والله سبحانه هو الذي قدّر لكلّ منّا آخر أكلة وآخر شربة، وآخر نَفَسٍ...، وهذا يمنح المسلم طمأنينة، وراحة نفس.

الحياة بنيت على الأسباب:

لقد جعل ربّنا سبحانه حياة الناس قائمة على الأسباب، ولا يجوز لمسلم أن يقعد عن السعي بحجّة أنّ الرزق محدود ومقدّر، ولا يجوز لمسلم أن يُهلك نفسه بحجّة أنّ الأجل محدود، بل لا بدّ من الأخذ بالأسباب سعياً وضرباً في الأرض ووقاية وعلاجاً للأجسام، وأيّ تفريط منه في ذلك يحاسب عليه عند الله، وهذا الحساب قد يقع في الدنيا قبل الآخرة.

من مفاتيح الرزق:

من يتجوّل في رياض القرآن الكريم ورياض السنة المطهرّة يعثر على كثير من مفاتيح الرزق، ومن الخير لكلّ مسلم أن يعرف هذه المفاتيح؛ والجاهل ينبغي أن يتعلّم؛ كيّ يكون على بينة من أمر دينه فيما يتعلّق بهذا الجانب، ومن مفاتيح الرزق:

الإيمان والتقوى:

لعلّ أوّل مفاتيح الرزق الإيمان، وما يتولّد عنه من ثمرة التقوى. يقول ربّنا سبحانه: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...}(الأعراف:96)، ومن الملاحظ أنّ الله سبحانه لم يقل: أنزلنا عليهم أرزاقاً، بل قال: {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ}؛ ذلك أنّ البركة أهمّ ما في الرزق، فقد يكون الرزق كثيراً، ولكنّه يكون منزوع البركة، ولعلّ من أوضح صور البركة نزول الماء من السماء، فقد حدث أن كان المطر كثيراً في بعض السنوات، وكان موسم الزراعة من أسوأ المواسم، وقد يأتي المطر متوسّطاً في معدلاته، معتدلاً في نزوله، متوازناً في أوقات نزوله، ويكون خيراً وبركة.

بعض الناس يحسب ما يصل جيبه، وما يصل إلى حسابه، ولكنّه قد يكون منزوع البركة، وقد يتلاشى بلا نفع، ونحن نعايش في حياتنا أناساً من أهل الإيمان والقناعة والرضا دخلهم قليل، ولكنّ حياتهم تسير على أحسن حال، وفي المقابل ترى غيرهم له روافد كثيرة من المال، وحياته مختلة، وقد يكون غارقاً في الديون.

وعلى هذا فإذا كانت التقوى مفتاحاً من مفاتيح الرزق، وفيها البركة فإنّ المعاصي تزيل النعم، وفي الحديث الشريف: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ)(*)، فعلى العاصي أن يلوم نفسه على حرمان الرزق قبل أن يُعاتب الأقدار.

* مسند أحمد، تتمة مسند الأنصار، ومن حديث ثوبان، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

الشكر:

من منن الله علينا في الرزق أنّ الشكر يديمه من جهة، ويزيده وينمّيه من جهة أخرى، فالشكر ضمانة لدوام الرزق ونمائه، والقرآن الكريم واضح في هذا الأمر {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}(إبراهيم:7).

والشاكر يقدّر المُنْعِم، ويدرك أنّ الأمر كلّه بيده، وهو يحرص على عدم ضياع النعمة، وعلى استقرارها، ويكون ذلك بشكر المُنْعِم، وسؤاله عدم تحوّلها عنه.

ومن الخير أن نعرف أنّ الشكر لا يكون باللسان فقط، بل لا بدّ له من ترجمان بالجوارح، فيكون الشكر بالعمل، وهذا يفهم من قوله سبحانه: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}(سبأ:13)، فمن لا يؤدّي حقّ الله في المال زكاة وصدقة ليس بشاكر، ومن لا يتحرّك لصنائع المعروف، فلا يعين ضعيفاً، ولا يكرم ضيفاً، ولا يعين على نوائب الحقّ، ليس بشاكر.

وفي الحديث القدسيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ)[1]، ووعد الله المنفقين بأن يخلف مالهم ويضاعفه {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}(الروم:39)، {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ}(سبأ:39)، {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}(البقرة:245)، وحديث نبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، واضح في معناه (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ...)[2].

والواقع يدلّ على أنّ الشاكرين أرزاقهم في نماء وديمومة، وأنّ كثيراً من غير الشاكرين كانت أعمالهم حسرات عليهم، فربّما سلبها الله منهم، وربّما عذّبهم بها

1. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.
2. صحيح مسلم، كتاب الصلة والبر والآداب، باب استحباب العفو والتواضع.

في الدنيا، وكانت سبب عذابهم في الآخرة.

الدعاء:

ممّا يفتح الأبواب المغلقة، ويأتي بالفرج والرزق الدعاء، والدعاء صاحبه متعلّق بربّه؛ فهو يستشعر ضعفه، وأنّه لا حول له ولا قوّة إلا بالله، ومن الدعاء الاستغفار، وقد وعد الله المستغفرين بالمغفرة وعظيم العطاء، فهذا نوح، عليه السلام، ينصح قومه: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} (نوح: 10 - 12)، وهود، عليه السلام، حثّ قومه على الاستغفار، مذكّراً ببعض ثماره: {وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} (هود:52).

ومن أحاديث النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، التي تزرع في المسلم الأمل قوله: (إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا)(*)، ولكن علينا أن نعرف أنّ الله سبحانه يستجيب دعاءنا بما يتوافق مع مصلحتنا، فقد يستجيب دعاءنا، ويحقّق لنا مرادنا، وقد يدّخره لنا أجراً يوم الحساب، وقد يدفع عنا من السوء بقدره.

الأخذ بالأسباب في تحصيل الرزق:

يشدّ نظر المسلم وتدبره وهو يتلو سورة مريم قول الله سبحانه لمريم وهي في المخاض: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا}(مريم:25)، فقد أمرها بالأخذ بالأسباب؛ ذلك بهزّ جذع النخلة، وإن كانت في حال ضعف، ولا تقوى على هزّها، وربّما يكتفي منها بلمس الجذع، والله يريد أن يدلّ عباده على الأخذ بالأسباب

* سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء، وصححه الألباني.

وإن كانوا في أضعف حالاتهم، ونجد المولى جلّ وعلا عدّى الفعل(هزّ) وهو فعل متعدٍ أصلاً بالباء للدلالة على التوكيد.

ونحن في حياتنا ما رأينا السماء في يوم تمطر ذهباً ولا فضّة، وما رأينا طائراً يجلس مكانه منتظراً رزقه، وهذا يفتح قلب العبد على قول ربّه: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}(الملك: 15)، والمشي كاف لتحصيل الرزق، ولا داعي لجري الوحوش وإجهاد النفس فوق ما ينبغي.

ويوم الجمعة الذي يعدّه بعض الناس يوم عطلة، فلا يعملون فيه، رغّب الله فيه المسلم بالانتشار في الأرض لطلب الرزق بعدما يؤدّي فيه صلاة الجمعة {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الجمعة:10)

وممّا يلاحظ في هذه الآية وفي الآية المذكورة آنفاً من سورة الملك إشارة إلى طلب الحلال من الرزق، فذكّرت الآية الأولى بالنشور، ومن ذَكَرَ النشور تذكّر العرض على الله والحساب، وحثّت الآية الثانية على ذِكْرِ الله ذكراً كثيراً، والذي يذكر الله يخشى عقابه إن حاد عن الحلال إلى الحرام.

ومما ينبغي أن لا يفوتنا في هذا المقام أن نذكّر بأنّ المسلم لا يقف عند سبب واحد من أسباب الرزق، بل عليه أن يطرق أبواباً أخرى. ألم يمدح ربّنا سبحانه ذا القرنين في قوله: {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا} (الكهف: 84 - 85). ومن الناس اليوم من يأخذ بسبب من أسباب الرزق، من مثل الشهادة العلمية، ويظلّ ينتظر ليجد عملاً يتوافق مع شهادته، ولا يبحث عن عمل آخر، وربّما سافر مثل هذا إلى بلاد

أجنبية، وهناك تراه لا يترفّع عن عمل مهما قلّ أجره، وانحطت رتبته، ولا يلتفت إلى مؤهله العلميّ!

التبكير إلى الأعمال:

هناك دعاء من النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، للمبكّرين (اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا)[1]، فمن السنة أن يُبكّر المسلم إلى عمله، وهذا يفتح أبواب الرزق، ويجعل العامل ينجز أعمالاً كثيرة في وقت نشاطه، ومن المؤلم أنّ كثيراً من العاملين كسالى، يذهبون إلى أعمالهم بعدما يتعالى النهار، وتفتر الهمم، وسبب ذلك أنّ بعض الناس أحال الليل سهراً، وغفل عن أنّ الساعات الأولى بعد العشاء هي التي تجلب الراحة الكبرى للجسم.

العامل المواظب على الصلوات يقوم إلى صلاة الفجر بادي الارتياح، وبعدها يذهب إلى عمله، فينهض بأعمال لا يبلغها من لا يصلّي الفجر، وحسبه دعاء النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، له بالبركة.

صلة الرَّحم:

ما أعظم ديننا الحنيف! الذي حثّ على التكافل والتواصل وصلة الرّحم، وبيّن لنا أنّ الرحمة بالضعفاء بها نرزق وننصر، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (ابْغُونِي الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ)[2]، وبيّن أنّ صلة الرحم تزيد في الأرزاق والأعمار، وفي هدي نبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)[3].

1. سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر، وصححه الألباني.
2. سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة، وصححه الألباني.
3. صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق.

فصلة الرحم ، والحالة هذه، باب من أبواب الرزق، وهذا المال الذي تبذله في صلة رحمك يعوضك الله به بسطة في الرزق وزيادة في العمر، قد يكون بإحلال البركة فيه، أو بزيادته على الحقيقة.

الزواج:

الزواج له مقاصد سامية، منها الإعفاف، وحفظ النسل، والتعارف، وصلة الرّحم، والتأسي بالأنبياء، عليهم السلام سبيل للتوسعة على الزوجين في الرزق، حسب ما تدل عليه عبارة: {إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} الواردة في الآية القرآنية {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(النور:32)، وقد رأينا في الحياة من تزوّج، ففتح الله عليه أبواب الرزق.

كلمة أخيرة:

يا من تشكو ضيقاً في الرزق، أو قلة البركة فيه، لقد ذكرنا لك بعضاً من مفاتيح الرزق، ففتّش عنها في نفسك وسلوكك، ولا تزدري نعمة الله عليك، فقد يكون الله سلبك مالاً، ولكنّه أعطاك أرزاقاً كثيرة؛ فالصحّة رزق، والزوجة الصالحة رزق، والولد البارّ رزق، والصديق الوفيّ رزق، والعلم النافع رزق، ومحبّة الناس رزق...

المخدرات شر قاتل

أ. يوسف عدوي / باحث وكاتب ومحاضر جامعي

مقدمة:

الحمد لله الذي خلقنا في أحسن صورة؛ لنعمر الأرض، الحمد لله الذي دعانا إلى الاهتمام بالصحة والعقل والدين، وحرم علينا الخبائث، قال تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (الأعراف : 157) والصلاة والسلام على حبيبنا وقدوتنا وشفيعنا ونبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن استنّ بسنته إلى يوم الدين، وبعد؛

تشكّل المخدرات مشكلة شائكة معقدة في كثير من المجتمعات، فمن خلال متابعاتنا لأخبار وطننا العزيز والعالم نلاحظ أنّ عدد المدمنين يرتفع بشكل ملحوظ في صفوف المراهقين والشباب، وتعد هذه الآفة خطيرة جداً تدمّر حياتهم، وتقتل مستقبلهم. وهذا المقال يتناول هذه المشكلة من حيث أسبابها، وتأثيرها في المجتمع، وكيفية الوقاية منها، وما التوفيق إلا بالله العلي العظيم.

المخدرات لغة واصطلاحاً:

المخدرات لغة:مشتقة من الفعل خَدَر، وهي مادّة تسبب في الإنسان والحيوان

فقدان الوعي بدرجات متفاوتة، كالحشيش والأفيون.[1]

المخدرات اصطلاحاً: هي مواد جامدة غير مائعة تزرع، مثل الحشيش أو الأفيون وغيرهما، تحدث السّكر والفتور لمن يتناولها؛ لتغطيتها العقل، سواء تعاطاها الشخص -أياً كانت وسيلة التعاطي- بعد زراعتها مباشرة، أو تصنيعها بإضافة بعض المواد إليها حتى لو صارت مائعة، أو غير ذلك بعدها، أي على شكل أقراص أو كبسولات.[2]

وتعرّف المخدرات في الفقه القانوني: بأنها مواد تؤثر في الجهاز العصبيّ المركزيّ، ويسبب تعاطيها حدوث تغيرات في وظائف المخ، وتشمل هذه التغيرات تنشيطاً، أو اضطراباً في مراكز المخ المختلفة.[3]

أنواع المخدرات:

تقول المراجع العلمية، وذوو الاختصاص في هذا المجال إنّ المخدرات أكثر من (131) نوعاً، وهذه الأنواع جميعها تقسم حسب مصدرها إلى ثلاثة أنواع:

1 - **المخدرات الطبيعية**: وهي المواد المشتقة من نبات طبيعي، كالحشيش، والأفيون، والكوكايين، والقات.

2 - **المخدرات المصنّعة**: وهي المواد التي يتم إنتاجها عن طريق معالجة أو تصنيع للمخدرات الطبيعية، كالمورفين والهروين.

3 - **المخدرات الصناعية أو الكيميائية**: وهي المواد التي يتم إنتاجها أو تصنيعها من مواد كيميائية لأغراض التخدير، أو التهدئة، أو التنبيه، أو التحفيز، ومثالها حبوب

1. المعجم الوسيط، مادة خدر، 1 /220.
2. د. أسامة السيد عبد السميع، عقوبة تعاطي المخدرات والاتجار بها بين الشريعة والقانون، ص30.
3. د. عز الدين الدنشاري، المخدرات والإدمان، ص11.

الهلوسة، وكثير من الأدوية.[1]

وتأثير المخدرات في جسم الإنسان متفاوت حسب النوع، والكمية، مثلاً مخدر الفنتانيل يعد أقوى مخدر في العالم وأخطره، فجرعة لا تتجاوز وزن حبة ملح تقتل رجلاً، حيث يموت في أميركا سنوياً (72000) شخص بسبب الجرعات الزائدة من الفنتانيل، ويعدالفنتانيل السبب الأول لأسباب الوفاة في أميركا، حيث يعد أقوى من المورفين بمئة مرة. ومن الأمثلة على المواد المخدرة: الكوكايين، والهيروين، والبيريترااميد، والبوتالبيتال، والدروتبالنول، والحشيش بأنواعه ومسمياته جميعها، مثل: الكمنجة، والبانجو، والمارجوانا، والكودوكسيم، والكاثينون.[2]

الأسباب والدوافع التي تؤدي إلى تعاطي المخدرات:

لماذا يسقط بعض المراهقين والشباب في هذه التجربة الخطيرة؟ وما الدوافع والعوامل التي تفسّر اللجوء إلى المخدرات؟

عندما نتكلم عن عوامل الإدمان، فإنّ العلماء يستعملون عبارة (إيبيديمولوجيا) التي تعني علم انتشار الأمراض، وربطها بالعوامل الاجتماعية والحياتية من جهة، وبالعوامل الفردية من جهة أخرى.[3]

وأهم الدوافع والظروف المساعدة التي تؤدي إلى تعاطي المخدرات كما يقول المتخصص ناصر جبر حمامرة: الهروب من الواقع، ويكون ذلك بسبب الإهمال، والتفكّك الأسري، وعدم شعور الأبوين بالمسؤولية تجاه أفراد الأسرة، والبحث عن

1. د. هيثم حامد المصاروة، مشروعية العلاج بالمخدرات، ص22.
2. د. أسامة السيد عبد السميع، عقوبة تعاطي المخدرات والإتجار بها بين الشريعة والقانون، ص188.
3. د. غسان يعقوب، سيكولوجيا النمو عند المراهق، المخدرات وأخطارها، ص36.

اللذة والانبساط، والعدوى الجماعية، وتحدي المجتمع، والبحث عن الثقة بالذات، ولزيادة الشهوة الجنسيّة، والمرض النفسي وجعله ذريعة للاستمرار في أخذ الأدوية المخدرة، وعدم الالتزام بتعليمات الطبيب المعالج؛ فيتوجه المريض إلى المخدرات، من خلال بحثه عن الدواء وبديله من الشارع، وهنا يدخل في دوائر خطرة تدمر حياته، وضعف الشخصية، والمعلومات والاتجاهات السلبية نحو المخدرات بأنها تؤدي إلى أمراض، أو تأثير في الجسم، كذلك أصدقاء السوء، ونقص المعلومات، وعدم الفهم، ومساعدة الأهل وتهيئة الظروف لابنهم بالتعاطي من خلال التّستّر عليه حتى لا ينكشف أمره للناس، فيضطر الأهل لتوفير المخدرات له؛ ليتعاطاها وهو في البيت، كذلك من أجل العمل بحيوية ونشاط أكثر يلجأ الشباب إلى تناول المخدرات.[1]

تأثير الإدمان في الجسم والمجتمع:

إنّ تعاطي المواد المخدرة أياً كان نوعها، أو سبب تعاطيها يشكل خطراً كبيراً على المتعاطي، إذ ينجم عن تعاطيها أضرار خطيرة على أعضاء الجسم، ونفسية المدمن، وتظهر في: ارتفاع ضغط الدم، وتصلب الشرايين، وجفاف الفم، والتهاب القصبة الهوائية، وانخفاض حركة الرئتين، والدوار، وأوجاع الرأس، واحمرار العينين، واختلال التوزان، وزيادة الشهية للطعام والشراهة، واضطراب التنسيق الحركي، وتدني الدوافع النفسية.[2]

إن الشباب هو القوة التي يعتمد عليها في بناء الوطن وحمايته؛ لذا فالمخدرات

1. ناصر جبر حمامرة، ماجستير إرشاد نفسي وتربوي، ومعالج نفسي وتحليلي، ومختص في علاج المدمنين منذ أكثر من (25) سنة ومحاضر في جامعة القدس، مقابلة في 26 /2 /1920.
2. د.غسان يعقوب، سيكولوجيا النمو عند المراهق، المخدرات وأخطارها، ص64.

أسلحة قذرة تمارس بحقهم؛ بهدف إفراغهم من محتواهم الديني والوطني والأخلاقي، وصرفهم عن الدور الذي ينبغي أن يقوموا به في مجتمعهم، وتعد المخدرات مقبرة، وخروجاً من دائرة الحياة، يقول الأستاذ ناصر حمامرة: "سنة 2006م كان أكثر من (60000) مدمن مخدرات في القدس والضفة وقطاع غزة، وهذا بسبب استهداف الشباب من الاحتلال لتدميرهم، ويظهر على الأشخاص المتعاطين علامات مبكرة، منها: النوم الطويل، والتراجع في التحصيل لدى الطلاب، والأكل بشراهة، وأكل الشوكلاته بكثرة، وتسوس الأسنان، وانخفاض الوزن ونقصانه، وتشتت الذهن.[1]

وتؤدي حالات التعاطي والإدمان إلى مشكلات كثيرة في المجتمع من حالات قتل، وهي كثيرة في مجتمعنا العربي بسبب الإدمان، كذلك حوادث السير، والشجار مع الآخرين على أبسط الأمور وأتفه الأسباب، وتؤدي إلى انتشار البطالة، والجريمة، وارتفاع معدلاتها، وازدياد نسبة الطلاق، والتفكك الأسري، وتشريد الأسر، وتهديد استقرار المجتمع وأمنه، واستنزاف موارد الدولة في علاج المدمنين؛ ما يؤدي إلى خسارة الدولة لتلك الطاقات التي تعطلت بسبب تلك الآفة الخطيرة التي حولتهم إلى عاطلين عالة على المجتمع.[2]

العلاج والوقاية من المخدرات:

إننا في أمس الحاجة إلى استراتيجية وطنية لمكافحة المخدرات، وأن نعترف بوجود المشكلة، وأن لا نهون منها، ومن المعلوم أنه ليس للإدمان سن معينة، لكن معظم المدمنين هم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين (15سنة – 40 سنة)، وقال لي

1. ناصر جبر حمامرة، مرجع سابق، مقابلة في 26 /2 /1920.
2. مجلة الأزهر، الشباب وخطر المخدرات، ج9 السنة 1999م، ص1632 - ص1633.

المتخصص في علاج المدمنين الأستاذ ناصر حمامرة، إنه التقى بمدمنين تتجاوز أعمارهم السبعين عاماً، ومدمن المخدرات هو مريض، يمكن علاجه باستخدام وسائل وأساليب علمية وطبية، ودعم اجتماعي ونفسي، وتضافر جهود الجميع في ذلك، خاصة البيئة الاجتماعية والأسرية التي يعيش فيها المدمن، وأعلى نسبة نجاح في علاج المدمنين في العالم وصلت إلى 1,5 %، وفي فلسطين تصل نسبة النجاح إلى 5 %، وهذه تعد نسبة جيدة جداً قياساً إلى العالم، وهناك حالات إدمان تمَّ شفاؤها بشكل كامل، ومن الذين تم شفاؤهم تزوجوا، وأسسوا أسراً ناجحة، ومنهم من حفظ القرآن، وأصبح يؤدي أدواراً اجتماعية ودينية وثقافية وعلمية في المجتمع، ومنهم من أصبح من رجال الأعمال، المهم التوجه للعلاج من الإدمان، وكسر حاجز الخوف والوصمة المرتبطة به.(*)

يقول المتخصصون إن المخدرات وباء وخيم وخطير، إلا أنه ليس نهاية الحياة، فالمدمن المبتلى بهذا الداء يستطيع أن يستعيد قواه، وأن يشفى ويعود عضواً فاعلاً ونشيطاً في المجتمع إذا ما تخلّى عن هذا الداء، وتعاون معه الجميع، ومن واجب وسائل الإعلام أن تنبه المدمن إلى وجود الهيئات والجهات الرسمية والشعبية التي تستطيع أن تمد إليه يد العون؛ لإخراجه من مستنقع الإدمان المميت، لذا فعلاج مدمن المخدرات يتطلب نهجاً وبرنامجاً شاملاً يبدأ بالاعتراف بالمشكلة، ثم التخلّص من السموم تحت إشراف طبي، ثم العلاج النفسي والسلوكي؛ بمعالجة الأسباب الجذرية، ثم التأهيل، وإعادة الدمج المجتمعي لمنع الانتكاس، وكل ذلك يحصل بدعم أسري ومجتمعي، والمركز الوطني الفلسطيني للتأهيل في بيت لحم هو أول

* ناصر حمامرة، مرجع سابق.

مؤسسة حكومية متخصصة عندنا في علاج مدمني المخدرات والكحول وتأهيلهم مجاناً، ويقدم خدماته بسرية تامة، شاملة إزالة السمية، والتأهيل النفسي والاجتماعي، والعيادات الخارجية؛ لضمان دمج المتعافين بالتعاون مع وزارة الصحة الفلسطينية.(*)

الوقاية أفضل من العلاج:

إن وعي الأخطار والأضرار التي يسببها إدمان المخدرات تجعل من يفكر في تعاطيها أن يبتعد عنها ويتجنبها؛ لأنها تنهي حياته وتدمرها، فعلى المراهقين والشباب أن يقولوا لا وألف لا لزملائهم وأصحابهم الذين يحاولون جرهم إلى تجريب المخدرات، وإلى أعمال الطيش والانحراف. وإذا تعرض الشخص إلى مصاعب وهموم عليه ألا ييأس من رحمة الله، وعليه أن ينظر إلى الحياة بإيجابية، وأن يعرف كيف يتحمل المسؤولية، ويواجه الصعاب، ويتغلب عليها، وإن لم يستطع وحده، فلا يخجل من طلب المساعدة من الوالدين والمعلمين، أو المتخصصين في علم النفس، والوقاية من المخدرات تعمل على محاورعدة، كما يأتي:

- دور علماء الشريعة الإسلامية وفقهائها من خلال المساجد، ووسائل الإعلام، وما يقدِّمونه فيها من وعظ وإرشاد، وتوجيه الشباب نحو الالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى، وتقوية الإيمان، وتوجيههم نحو الحياة الفضلى.

- دور الأطباء وعلماء النفس في تثقيف الشبان صحيّاً من خلال الندوات، والمحاضرات في المدارس والجامعات الموجهة إلى الشباب، والغاية منها الحفاظ على الصحة، وتجنب الأمراض والأضرار الصحية التي تسببها المخدرات.

- دور الأهل الذين عليهم متابعة أبنائهم، والإصغاء إليهم، وأن يتفهموا مشكلاتهم،

* وائل بنات، مرشد نفسي واجتماعي وتربوي، مقابلة في2/ 3/ 2026.

ويكونوا لهم سنداً وعوناً، فالشباب الذين يكونون في صراع مع أهلهم يتعرضون أكثر من سواهم للضياع وتعاطي المخدرات.

- دور الإعلام: مهم جداً في هذا المجال، فالركيزة الأساسية في الوقاية من المخدرات تكون عبر نشر الوعي بمخاطرها، وتقديم برامج توعية متخصصة، وتسليط الضوء على الآثار الصحية والاجتماعية المدمرة للمخدرات، كذلك التحذير من القوانين الرادعة وتوظيف الإنترنت، والمواقع الإلكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي في التثقيف في هذه المسألة.(*)

- وعلينا أن لا نغفل أننا بحاجة إلى قوانين رادعة مشددة؛ لتمنع انتشار المخدرات وتنهيها؛ فالتصدي لها يمكن في إيجاد العقوبات الشديدة جداً والرادعة.

خاتمة:

في الختام؛ لا بد من تقديم التحية والشكر للمركز الوطني الفلسطيني للتأهيل، خاصة وحدة الوقاية من المخدرات والمؤثرات العقلية، لما تقوم به من دور كبير في الحد من انتشار المخدرات والسموم بين شبابنا وشعبنا، خلال تقديم خدمات العلاج والتأهيل، وآليات الدعم المتاحة للمتعافين بما يسهم في إعادة دمجهم في المجتمع بشكل صحي وآمن، والعمل على رفع مستوى الوعي والتثقيف حول أضرار التعاطي والإدمان، وتعزيز سبل الوقاية منه بما ينعكس إيجاباً على حماية المجتمع، لا سيما فئة الشباب.

* د.غسان يعقوب، سيكولوجيا النمو عند المراهق، المخدرات وأخطارها، ص67 - ص69.

أعلام من بلدي ..... المؤرخ

أ. مخلص محجوب "الحاج حسن" السعيد

أ.إبراهيم رمضان - محاضر جامعي

من أعظم ما يقدّمه الإنسان لمجتمعه هو العطاء؛ الذي ينبع من نقاء الروح، ولا يكون مشروطاً بردٍّ أو مقابل، وإنما ينبع من رغبة صادقة في ردّ الجميل للذين أفنوا زهرة أعمارهم ليصنعوا لنا طريقًا أفضل، وحياة أكثر طمأنينة.

وهناك أشخاصٌ، مهما كتبنا عنهم أو استعرضنا سيرهم، نبقى عاجزين عن منحهم ما يستحقون من وفاء.

ومن بين هؤلاء الذين تفخر بهم جنين، والذين يندر أن يجود الزمان بأمثالهم، شيخ المؤرخين الجنينِيِّين، أستاذي في المرحلة الابتدائية، والمقرّب إلى عائلتي: الأستاذ القدير، حارس الذاكرة (مخلص محجوب "الحاج حسن" السعيد) – رحمه الله.

البدايات: أبصرَ السعيدُ النورَ عام 1940 في مدينة جنين، وكان طفلًا صغيرًا حين وقعت معركة جنين الأولى؛ فهرب مع أسرته إلى الجبال المحيطة، وهناك شاهد جيش الإنقاذ، والجيش العراقي، والمناضلين المتطوعين، وهناك وُلد حبُّ التاريخ في قلبه. ومنذ ذلك الوقت، كرّس ساعاتٍ طويلة من عمره للبحث في كل ما يتصل بجنين، ناسجًا ذاكرةً توثّقُ مراحلها البعيدة والقريبة.(*)

* https://www.al-ayyam.ps/ar/Article/272134/register.php.

تلقى تعليمه الأولي في مدارسها، ثم درس في دار المعلمين في العرّوب، والتحق بسلك التعليم منذ العام 1960 متنقلًا في مدارس نابلس وجنين وريفها، وبدأ رحلته في حفظ تاريخ مدينته بعد حصوله على شهادة "المترك" الثانوي. ونال المرتبة الأولى في التربية الإسلامية على الضفتين، وكان مرشَّحًا لبعثة خارجية لم يُكتب لها أن تكتمل. وواصل دراسته في دار المعلّمين بالعروب، وحصل على المركز الأول في الاجتماعيات، والسابع بين 43 طالبًا.

وقد كتب العديد من الدراسات التربوية والتاريخية، وألف كتاباً يعد مرجعاً لتاريخ جنين منذ العصور الأولى ولغاية وفاته، وأسماه "جنين: ماض وحاضر"، وتحدث في كثير من الندوات والمحاضرات عن تاريخ مدينة جنين ومنطقتها، كما أسهم برفد الصحف الفلسطينية والعربية بمقالات عن القضيّة الفلسطينيّة. وكان عضواً في لجنة البحث والتوثيق بمكتبة بلدية جنين العامة، وعمل سنوات في التعليم المدرسي والإدارة المدرسية؛ وكان حازماً ومتميزاً، ومن المصلحين الاجتماعيين، لنزاهته وأمانته، ولا يخاف في الله لومة لائم، رحمه الله. وقد رثاه صديقه الشاعر ابن مدينة جنين الاستاذ ياسين السعدي (أبو ساطي) بأبيات شعرية:

أتاني النعي بالخطب المريعِ ********** فزلزل خافقي بين الضلوعِ

تفجرت المدامع من عيوني ********** أكفكفها ولست بمستطيعِ

عرفتك مخلصاً اسماً وفعلاً ********** على منهاج سيدنا الشفيع

أبا التاريخ إنْ سطعتْ نجومٌ ********** فنجمك كان وضّاح السطوعِ

بكتك جنينُ إذْ فقدت فتاها ********** وفقدك كان بالجلل الفظيعِ

لقد سطرت في دنياك ذكراً ********** حميداً شاع ما بين الجموعِ[1]

وحسب المؤرخ ما عايشه فقد نُقل عنه قوله: "شهدت جنين كثيراً من الأحداث كـ'الثلجة الكبرى' في السادس من شباط 1950، ووقتها شُلت مرافق الحياة، ووصل سمك الزائر الأبيض نصف متر، كما خسرت كثيراً من آثارها كبركة البساتين، التي أسسها محمود بيك عبد الهادي، وفقدت طواحينها المائية الأربعة: أم القناطر (آثارها باقية قرب دوار يحيى عياش)، والبلد (كانت خلف المسجد الصغير)، والصباحية (قرب وزارة الحكم المحلي اليوم)، و(المجيدية). كما فقدت الحمام التركي الذي دمره الزلزال، (بجوار المسجد الصغير) ونهر البلد، والتل الذي كان مقرًا للبريد الطائر (الحمام الزاجل)، وسوقًا للدواب، ومقبرة، ومكانًا لإقامة البرامكة والنَوَر، الذي تحول إلى موقف للمركبات عام 1965. كما بدأ الزحف على سهل مرج ابن عامر في سبعينيات القرن الماضي، وانتعش تدميره في الثمانينيات، وتفاقم منذ التسعينيات حتى اليوم."[2]

وما يُحسب لمحجوب أن عمله شكل توثيقًا اجتماعيًا مفصلًا لمدينة جنين لفترة زمنية مهمة من تاريخها الطويل، فعدا عن تسجيل الأحداث التاريخية خلال عقود عدة،

1. الشاعر ياسين السعدي.
2. https://fatehwatan.ps/page-109762.html.

سنجد أيضًا تفاصيل آثار المدينة وقصص معالمها الرئيسة الحاضرة والمندثرة،وكذلك المهن التي اشتهرت بها، ومن أبرز من اشتغل وعمل بها، بالإضافة إلى أسماء قضاتها وشرطتها والحكام الإداريين ومخاتيرها، ومن شغل من أهلها مناصب رسمية في الحكومتين: العثمانية والأردنية، والسلطة الوطنية الفلسطينية بعد عام 1993.(*)

لقد وضع المؤلف كل ما يتعلق بالمدينة في صفحات كتابه (جنين ... ماض وحاضر) إلى زمننا الحالي، فذكر كثيراً من أحداث الانتفاضتين الأولى والثانية، وما ميز دور أهالي جنين فيهما. كما تجدر الإشارة هُنا إلى أنه لم يترك مَعلمًا أو مهنةً إلا وذكر تاريخها في المدينة بالتفصيل، ومن هم الذين امتهنوا بها، ولم ينس المؤرخ الفاضل الإشارة إلى الدور الذي أداه أهالي القرى المحيطة بجنين والمدن الأخرى القريبة منها، الذين كان لهم دورٌ كبير في تاريخ المدينة.

وفي هذا السياق أرغب في استعراض موقف من المواقف التي عايشتها مع الأستاذ مخلص، ويتلخص في الآتي: أنه في مرحلة الدراسة الابتدائية، وتحديداً في الصف الثالث الابتدائي في مدرسة حطين الأساسية للبنين، كان الأستاذ مخلص مربياً للصف، حيث كنت أتواجد، وكان من الأساتذة الحازمين والمربين القديرين، وكان يشترط أن أي امتحان نتقدم له أن نأخذ الورقة إلى أحد الوالدين لمشاهدتها، والتوقيع عليها، كتابة، وإرجاعها له، كي يتأكد من متابعة الأهل لأبنائهم في مرحلة الدراسة، مصداقا لقول

* https://tinyurl.com/3hba48sm.

رسول الله،ﷺ: (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)(*)

وحدث معي يوماً وأنا في الصف الثالث أن كانت بحوزتي أوراق امتحانات لمواد مختلفة (حسب ما أذكر رياضيات ولغة عربية) ووصلت للبيت، وعرضت الأوراق على الوالد، وقام بالتوقيع عليها، واحتفظت بها في جيبي لليوم التالي، وفي وقت العصر ذهبت إلى منزل صديقي (استشهد في الانتفاضة الثانية)، مستخدماً دراجة كنت أتعلم ركوبها، وفي أثناء ركوبي عليها، ولعدم إلمامي الكافي بركوبها، وخوفي، تدهورت الدراجة، ونزلت أنا والدراجة مسافة نوعاً ما كبيرة عن تل صغير، ووقعت بين الأعشاب، وتوقفت الدراجة بسبب اصطدامي بجذع شجرة زيتون، فقمتُ وصديقي بالعودة إلى المنزل، ونحن نحمد الله أنه لم يصبنا أي مكروه، باستثناء بعض الخدوش في الرجلين، والتي كانت مغطاة بالملابس، ونسيت أن أتفقد الأوراق، وفي اليوم الثاني صباحاً تفقدت الأوراق ولم أجدها، وخفت أن أقول لأبي، وخفت أن أتغيب، فنزلت إلى المدرسة، وفي أثناء الحصة طلب الأستاذ مخلص الأوراق كعادته، فقلت له: أنني أضعتها، فعاقبني لأنه شك بأني لم أعرضها على أهلي، وكانت عقوبته على الشكل الآتي: يمسك بالشفة السفلى، ويقوم بعمل حركة يلف بها الشفة، وبضغط كبير فيصبح الألم كبيراً جداً، وفي اليوم نفسه،صممت على العودة إلى مكان

* البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى، {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: 59].

سقوطي، وبدأت في البحث عن الأوراق، وبعد ما يقارب الساعتين وجدت الأوراق، وكانت فرحتي غامرة حيث كنت أعد من الأولاد المتميزين، وأنني سأثبت له روايتي في اليوم التالي.

وختاماً؛ أرغب في التنويه أن هذا غيض من فيض، وأن سيرة المؤرخ الأستاذ الفاضل مليئة بالأحداث والمواقف، وأختم هذا الإجمال بالقول إن الأستاذ مخلص محجوب عمل مديرًا لمدرسة كفر راعي الثانوية وسكرتيرًا لمدرسة جنين الثانوية، وبشهادة العديد يعد أحد أهم مؤرخي المدينة، وكان عضوًا في لجنة البحث والتوثيق في مكتبة بلدية جنين العامّة،له سلسلة مقالات وأبحاث تاريخية وجغرافية منشورة، وهو من الأوفياء لمدينته وأهله، ومن الأشخاص الذين كانوا يشاركون أهل المدينة والقرى المجاورة أفراحهم، وأتراحهم، وفي المناسبات الدينية والوطنية والثقافية ، وله من الأبناء ثلاثة من الذكور وأنثى واحدة، توفي في شباط/ فبراير عام 2019 في مدينته التي أحبها، وكتب عنها كثيراً.

اقرأ وتذكر

أ. إيمان تايه / رئيس قسم النشر والتوزيع/ دار الإفتاء الفلسطينية

التواب الرحيم

قال تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(البقرة: 37)

ما أسرعَ ما شرع الله للمخطئين بابَ التوبة، وما أكرمَ ما يسَّر لهم ولوجَ ذلك الباب! فإيَّاكم والقنوطَ من رحمة الله، فإنَّ خير الخطَّائين التوَّابون.

فالله علم آدم كيف يتوب، ثم وفَّقَه للتوبة وقبِلها منه، ألا ما أوسعَ رحمتَه، وما أبلغَ عفوَه! إنه الله التوَّاب الرحيم.

وجعل هبوطَ عبده سببًا في ارتفاعه، وبُعدَه سببًا في قُربه، جلَّ من توَّابٍ كريمٍ، سبقت رحمتُه غضبَه!

الأمان الوحيد

لا تفكر بقوة الظروف، فكر بقوة الله.

وقد قال الله تعالى لكليمه موسى، عليه السلام: {يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (النمل: 9)

منهج رباني

قال تعالى :{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}(طه: 131)

منهجٌ ربّانيّ يُعلّمك ألّا تُقارن نفسك بالآخرين، وبما آتاهم الله من فضله؛ لأنّ لكلٍّ منهم نصيبه في الحياة.

فانطلاقُ البصر إلى ما عند الآخرين غفلةٌ عمّا أعطى الله من نِعَم،قد يكونون محرومين منها، أو مفتونين بها.

هل تعلم

هل تعلم أن الجواهر في الناس لا في الحجر

والنور في القلب لا في العينين

والعز في القناعة لا في المال

والفخر في الأدب لا في النسب

والصبر في البؤس لا في النعم

انتظار الفرج

تضيقُ الأمور بالإنسان حتى يظن أن لا مخرج منها،ثم يأتي الفرجُ من اللهِ سبحانه، من كان يعتقدُ أن هاجر التي كانت تسعى، بين الصفا والمروة بحثاً عن شربة ماء، سينفجر بين قدمي ابنها ماء زمزم؟!

{لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} (الطلاق: 1)

لا ليشربا هما فحسب، وإنما لتشرب الأمم حتى يوم القيامة،هكذا يُبدّل الله من حالٍ إلى حالٍ في طرفة عين.

الشدة لا دوام لها، فكم من لحظات قاسية يحسبها الناس نهاية المطاف، ثم تصبح مجرد ذكريات.

ليس شرطاً أن ترى خطوات الفرج، فيد الله تعمل في الخفاء، فما كان فتية الكهف يتخيلون أن الفرج سيكون من باب نوم!

فلا تيأس، وثِقْ بربك، فإن أعظم العبادة انتظار الفرج.

{لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا} (الطلاق:1)

خيرةُ الله خَيرٌ

قال تعالى: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} (الحديد: 23)

لا توجد فرص ضائعة، كل شيء فاتك لم يكن بالأصل لك، ولو تأملت كل ما أردته فلم تنله، لوجدت أن الخير كله كان في ألا تناله.

إن النجاة أحياناً في أن تفوتك الأشياء، لأن رحمة الله في المنع أبلغ منها في العطاء؛ ذاك أن العطاء اختيارك لنفسك، وإنْ كان بكرم الله، والمنع هو اختيار الله لك بحكمته، وخيرة الله لعبده خير من خيرة العبد لنفسه، وكل أقدار الله خير، وإن أوجعتك.

فالحياة قد تتعثر ولكنها لا تتوقف، والأمل قد يقل، ولكن لا يموت أبداً، والفرص قد تضيع ولكنها لا تنتهي.

باقة من نشاطات
مكتب المفتي العام
ودوائر الإفتاء في محافظات الوطن

إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير عام مكتب المفتي العام

ضمن وفد من القيادات الدينية الفلسطينية

المفتي العام يشارك في لقاء عدد من الشخصيات الدينية المصرية

القاهرة: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- خطيب المسجد الأقصى المبارك، بلقاءات عدة لعدد من الشخصيات الدينية المصرية، وضم الوفد بالإضافة إلى سماحته كلاً من معالي الدكتور محمود الهباش- قاضي قضاة فلسطين/ مستشار السيد الرئيس للشؤون الدينية والعلاقات الإسلامية- ومعالي الدكتور محمد نجم – وزير الأوقاف والشؤون الدينية الفلسطينية- حيث التقى الوفد فضيلة الدكتور أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف- وتم بحث سبل دعم المسجد الأقصى المبارك وحمايته في

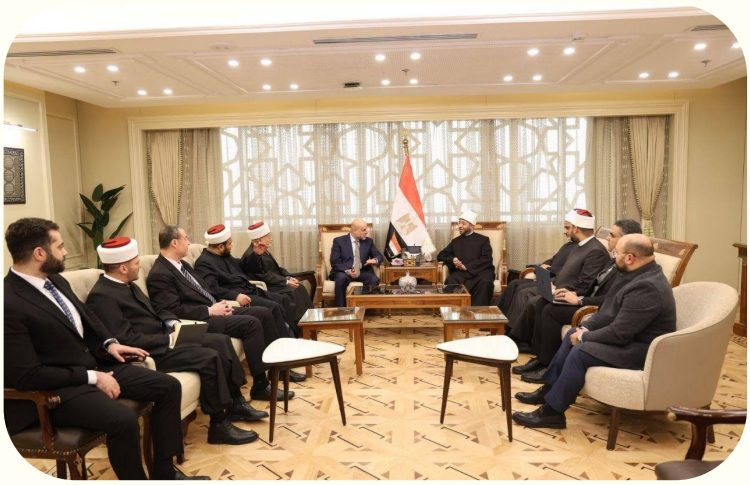

ظل تصاعد عدوان سلطات الاحتلال ضد مدينة القدس المحتلة، وطالب الوفد العالم الإسلامي باتخاذ موقف حاسم وجاد تجاه هذه الانتهاكات، والعمل على حماية المسجد الأقصى المبارك والتصدي لمحاولات تهويد القدس ودعم صمود الشعب الفلسطيني في مختلف المستويات، والتقى الوفد فضيلة الدكتور أسامة الأزهري/ وزير الأوقاف المصري، وأعربوا له عن تقديرهم وشكرهم للدور المصري في دعم القضية الفلسطينية في المحافل الدولية جميعها، مؤكدين على عمق العلاقات التاريخية والأخوية بين الشعبين الفلسطيني والمصري، والتقى الوفد البابا تواضروس الثاني، بابا الإسكندرية، وبطريرك الكرازة المرقسية في مقر الكنيسة القبطية

الأرثوذكسية في القاهرة، حيث تم بحث الأوضاع التي تعيشها مدينة القدس المحتلة في ظل التصعيد الإسرائيلي المستمر، والحصار المفروض على المقدسات الدينية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك وكنيسة القيامة وإغلاقهما أمام المصلين بسبب الحرب، وقد بين الوفد أن ما تتعرض له المقدسات في فلسطين ليس إجراءات عابرة بل عدواناً يومياً ممنهجاً ضمن مخططات سلطات الاحتلال الرامية إلى تهويد المدينة المقدسة، وتغيير هويتها العربية من خلال فرض وقائع جديدة على الأرض.

مجلس الإفتاء يحذر من إقامة مدرسة يهودية في الشيخ جراح

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ رئيس مجلس الإفتاء الأعلى- الجلسة السادسة والثلاثين بعد المائتين لمجلس الإفتاء الأعلى، بحضور أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس من محافظات الوطن كافة، وأدان المجلس مصادقة سلطات الاحتلال على إقامة مدرسة يهودية على مساحة كبيرة من أراضي المواطنين الفلسطينيين في حي الشيخ جراح في القدس المحتلة، محذراً من محاولات سلطات الاحتلال فرض وقائع جديدة غير قانونية على الأرض الفلسطينية من خلال التلاعب

بالوضع التاريخي والقانوني في القدس، كما حذر المجلس من اعتداءات قطعان المستوطنين التي زادت في الآونة الأخيرة ضد المواطنين الآمنين العزل، بحماية جيش الاحتلال، ومن تلك الاعتداءات حرق المنازل والأراضي وقتل المواطنين الأبرياء بدم بارد، داعياً المؤسسات الدولية بضرورة التحرك لتوفير الحماية للمواطنين العزل ضد هذه الهجمات.

وطالب المجلس بوأد الفتنة وحرمة الدم الفلسطيني، وقتل النفس بغير حق، مشيراً إلى أن الخاسر الأكبر من الاقتتال الداخلي هو الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة.

دار الإفتاء تعقد برنامجاً تدريبياً لموظفيها في مقر المدرسة الوطنية

رام الله: ضمن التعاون المشترك بين دار الإفتاء الفلسطينية والمدرسة الوطنية الفلسطينية للإدارة، وفي إطار الخطة الإستراتيجية للدار للأعوام 2025-2029م عقدت الدار برنامجاً تدريبياً في إعداد التقارير الرسمية وصياغتها، في مقر المدرسة الوطنية، استهدفت مفتيي المحافظات، ومديري الدوائر، ورؤساء الأقسام والشُعَب، وفي كلمة لسماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار

الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك- ألقاها نيابة عنه الدكتور محمد جاد الله – الوكيل المساعد للشؤون الإدارية والمالية - بين أهمية هذا البرنامج في تطوير قدرات الكوادر وتعزيز الأداء المؤسسي.

وأكد فضيلة الشيخ الدكتور أحمد شوباش – مفتي محافظة نابلس- في كلمة ألقاها باسم المشاركين على أهمية هذا البرنامج الذي يساهم في تطوير مهارات المشاركين في إعداد التقارير الرسمية وصياغتها.

مفتي محافظة نابلس يشارك في ندوات عدة وفي نشاطات أخرى

نابلس: شارك فضيلة الشيخ الدكتور أحمد شوباش- مفتي محافظة نابلس – في ندوات عدة، منها: ندوة بعنوان: "من تكلموا في المهد" عقدت في مسجد

عباد الرحمن في مخيم بلاطة، نظمتها دار الإفتاء بهدف بيان الفرق بين المعجزة والكرامة وغيرهما من الأمور الخارقة للعادة وبيان حكمة الله في نصر أوليائه والدفاع عنهم، وأخرى بعنوان: "الإسلام والتداوي بالحجامة" نظمتها جمعية نادي الاتحاد في مقر الجمعية لبيان بعض المسائل المتعلقة بالإسلام والتداوي بالحجامة، وأخرى بعنوان: "قصص قرآنية من سورة البقرة" عقدت في مسجد عباد الرحمن في مخيم بلاطة نظمتها دار الإفتاء لبيان الاستفادة من بعض القصص والدروس من القرآن الكريم، وعقدت ندوات عدة حول الزكاة والصيام، تناولت الأحكام المتعلقة بهاتين الشعيرتين المهمتين، وشارك في افتتاح مكتبة يافا في مركز يافا، وألقى كلمة تحث على القراءة والاطلاع، وفي إشهار كتاب "زهرات في الجحيم" للكاتب الحيفاوي حسن عبادي، الذي يتحدث عن معاناة الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال، وشارك في تكريم 39 حافظاً من حفظة القرآن الكريم في المحافظة، وألقى كلمة حث فيها على تعلم القرآن وحفظه، وهنأ الحفظة بهذا الإنجاز العظيم.

مفتي محافظة أريحا والأغوار يشارك في إحياء ذكرى يوم الأسير

أريحا والأغوار: شارك فضيلة الشيخ حمزة ذويب – مفتي محافظة أريحا والأغوار – في فعاليات إحياء يوم الأسير الفلسطيني التي أقيمت وسط مدينة أريحا، وعلى هامش المناسبة قدم التهاني للأسير المحرر فادي جلايطة بعد قضائه 25 سنة في سجون الاحتلال، وزار جمعية رعاية الأيتام والمحتاجين الخيرية في المحافظة، والتقى رئيسها الشيخ حرب عفاني.

مسابقة العدد 184

السؤال الأول: من .... ؟

1. إمام مذهب فقهي معتبر له أقوال في القديم تختلف عن الجديد
2. أم المؤمنين التي كان مسكنها في دار أسامة بن زيد
3. الذين طلب الله منهم أن يعملوا شكراً، حسب ما جاء في سورة سبأ
4. الصحابي الذي سأل: "وإنا لمؤاخذون بما نتكلم؟"
5. الصحابي الذي أرسل كتاباً إلى قريش بخبر سير المسلمين إليهم
6. الأسير المحرر مؤخراً من أبناء أريحا بعد قضائه 25 سنة في سجون الاحتلال
7. **القائل:**

أ. "اعرضوا عليَّ رقاكم"

ب. ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه، وعقب عقبه

ت. جنتي وبستاني في صدري

ث. أتاني النعي بالخطب المريع فزلزل خافقي بين الضلوع

السؤال الثاني: ما...؟

1. وصف بالوأد الخفي
2. أفضل الصيام بعد رمضان
3. الضرورات الخمس التي يلزم حفظها
4. حكم الدم الكثير النازل من غير السبيلين بالنسبة إلى نقض الوضوء، حسب الصحيح من أقوال أهل العلم
5. حكم نجاسة شعر الخنزير عند جمهور الفقهاء
6. أكذب الحديث
7. الدليل من السنة النبوية على أن صلة الرحم باب من أبواب الرزق
8. أول مؤسسة فلسطينية حكومية متخصصة في علاج وتأهيل مرضى المخدرات
9. وزير الأوقاف الفلسطيني الحالي
10. السبع الموبقات التي تم الأمر باجتنابها

السؤال الثالث: نعم أو لا...؟

1. تهديد المرء بأنه سيُقتل إذ لم يَقْتل، مسألة تخضع لقاعدة الضرورات تبيح المحظورات
2. أخرج قوم لوط آله من قريتهم لأنهم أناس يتطهرون
3. نُسخ النهي عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث
4. تجب دية الجنين المجهض بعد تخلقه على من باشر الإجهاض وأعان عليه
5. "صحيفة المدينة" التي وضعها النبي، صلى الله عليه وسلم، نظمت العلاقة بين المسلمين وسائر سكان المدينة المنورة
6. وقعت حادثة بئر معونة في السنة السابعة للهجرة
7. حيث وجد الظن مذموماً فهو اليقين
8. رحمة الله في المنع أبلغ منها في العطاء
9. نظمت جمعية نادي الاتحاد في جنين ندوة مؤخراً حول التداوي بالحجامة
10. حديث: "إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة" روته الصحابية خولة الأنصارية

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل

موزعة على ستة فائزين

بالتساوي

ملحوظات :

- تُرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- إرفاق صورة الهوية الشخصية مع إجابات مسابقات المجلة للضرورة.
- ترسل الإجابات إلى العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد **184**

مجلة الإسراء / الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام

دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف - ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 182

السؤال الأول:

1. قارون
2. الأقرع بن حابس التميمي
3. عمر بن الخطاب

السؤال الثاني:

1. أبو هريرة
2. عبد الله بن عمرو بن العاص
3. أبو بكر الصديق
4. عبد الله بن مسعود
5. الرسول، صلى الله عليه وسلم
6. زهدي حنتولي
7. بشر الغزاري

السؤال الثالث:

1. الريان
2. ما لم يكن إثماً
3. ذكر الله، وقراءة القرآن
4. 85 غراماً
5. لا زكاة فيه
6. "نظام إدارة الأداء الوظيفي في قطاع الخدمة المدنية"

السؤال الرابع:

1. متمسكة بعرش الرحمن/ مستجيرة به من القطيعة
2. هو ما تعارف عليه الناس، بما لا يخالف قرآناً ولا سنة
3. مصبوغان بالمشق، وهو الطين الأحمر
4. تمشي في وقت قدرتها على المشي، وتركب إذا عجزت عن المشي أو لحقتها مشقة ظاهرة، فتركب وعليها دم

السؤال الخامس:

1. لا
2. نعم
3. نعم
4. لا
5. لا
6. نعم
7. لا
8. نعم
9. نعم
10. نعم

الفائزون في مسابقة العدد 182

الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
أسامة محمد بدران	طولكرم	250
يوسف محمد علي صعبي	طولكرم	250
قيس سمير دار موسى	ضواحي القدس	250
إيمان أحمد عبد الله	جنين	250
نعمة عدنان هماش	بيت لحم	250
أبان سامي عبد اللطيف برغوثي	رام الله	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عبر البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة، ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية أو حواش سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس: مجلة الإسراء / فاكس: 6262495 ص.ب: 20517
الرام : تلفاكس: 2348603 ص.ب 1862
E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps